مجلة (سَمْت)
مجلة علمية محكّمة متخصصة
في الدراسات التاريخية والحضارة الإسلامية
العدد الأول، رجب 1448 هـ / يناير 2027 م
مؤسسة عبد الرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر

السلطانية: درة الحواضر الإيلخانية وعاصمة الملوك المغول

704 - 736هـ/ 1304 - 1335م

أ.د/ الشيماء سيد كامل

رئيس قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية السابق- كلية دار العلوم- جامعة المنيا- جمهورية مصر العربية.

elshimaa.mohamed3@mu.edu.eg

ملخص المقال

يتناول البحث تاريخ مدينة السلطانية، إحدى أبرز عواصم الدولة الإيلخانية في إيران، خلال عهدي السلطان أولجايتو وابنه أبي سعيد بهادر خان (٧٠٤-٧٣٦هـ/١٣٠٤-١٣٣٥م)، مع تحليل مكانتها السياسية والعسكرية والإدارية والحضارية. ويستعرض تطور العواصم الإيلخانية السابقة، والظروف التي صاحبت تأسيس السلطانية سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٤م، وتحولها إلى مركز للحكم والإدارة والعمران. ويبرز البحث جهود أولجايتو في تشييد المدينة وتحصينها، وإقامة القصور والمساجد والمدارس والأسواق والمؤسسات الصحية، واستقدام العلماء والحرفيين والفنانين، مما أسهم في ازدهارها العمراني والثقافي. ويتناول التنظيم الإداري للدولة، ومكانة الإيلخان والوزراء وحكام الأقاليم، ودور المرأة المغولية في شؤون الحكم واختيار الحكام وفق التقاليد الإيلخانية. كما يحلل النشاط العسكري المنطلق من السلطانية، والحملات التي شهدها عهد أولجايتو، والعلاقات السياسية والدبلوماسية مع دولة المماليك في مصر والشام، والتحول نحو المصالحة وتنشيط المبادلات التجارية خلال عهد أبي سعيد. ويتتبع البحث التركيبة السكانية للمدينة، وتنوع عناصرها العرقية والدينية والمذهبية، ومظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية، ومكانة العلماء والمؤرخين والأطباء في المجتمع الإيلخاني. ويكشف عن دور السلطانية في تطور العمارة الإسلامية، خاصة المنشآت الدينية والتعليمية والأضرحة ذات الطابع المعماري المغولي المميز. ويعتمد البحث المنهج التاريخي التحليلي في دراسة نشأة المدينة وتطور مؤسساتها وعلاقاتها الخارجية. ويخلص إلى أن السلطانية مثلت مركزًا رئيسًا للسلطة الإيلخانية ومظهرًا بارزًا لازدهارها السياسي والحضاري، وأن مكانتها ارتبطت بقوة الحكم واستقرار مؤسساته، قبل أن تتراجع عقب وفاة أبي سعيد سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م، نتيجة الاضطرابات السياسية وتفكك السلطة المركزية، مما أدى إلى انتقال مركز الحكم وتدهور المدينة وفقدان مكانتها السابقة بين الحواضر الإيلخانية الكبرى.

بيانات المقال

تاريخ الإرسال: ٥ / ١١ / ٢٠٢٦
تاريخ التحكيم: ٩/ ١٢ / ٢٠٢٦
تاريخ النشر: ١/ ١/ ٢٠٢٧

الكلمات المفتاحية

الحواضر الإسلامية؛ الدولة الإيلخانية؛ أبو سعيد بهادر خان؛ المغول؛ العمارة الإيلخانية؛ العلاقات المملوكية الإيلخانية.

معرّف الوثيقة الرقمي doi

التوثيق المرجعي للمقال

الشيماء سيد كامل، «السلطانية: درة الحواضر الإيلخانية وعاصمة الملوك المغول» مجلة سَمْت، العدد الأول، رجب ١٤٤٨هـ / يناير ٢٠٢٧م.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

Abstract:

This study examines the history of Sultaniyya, one of the most prominent capitals of the Ilkhanid state in Iran, during the reigns of Sultan Öljaitü and his son Abu Sa'id Bahadur Khan (704-736 AH / 1304-1335 CE), focusing on its political, military, administrative, and cultural significance. It traces the development of earlier Ilkhanid capitals and the circumstances surrounding the foundation of Sultaniyya in 704 AH / 1304 CE, highlighting its transformation into a major center of government and urban development. The study explores Öljaitü's efforts to construct and fortify the city, establish palaces, mosques, schools, markets, and medical institutions, and attract scholars, craftsmen, and artists. It also examines the administrative structure of the Ilkhanid state, the roles of rulers, viziers, and provincial governors, and the participation of Mongol women in political affairs. Particular attention is given to military campaigns launched from Sultaniyya and diplomatic relations with the Mamluk Sultanate in Egypt and Syria, including the transition toward peaceful relations and commercial cooperation under Abu Sa'id. Furthermore, the research investigates the city's ethnic and religious diversity, social and intellectual life, and distinctive architectural achievements. Employing a historical-analytical approach, the study concludes that Sultaniyya represented a major center of Ilkhanid political authority and cultural prosperity. Its subsequent decline following Abu Sa'id's death in 736 AH / 1335 CE reflected political instability, the fragmentation of central authority, and the deterioration of its former urban prominence.

Keywords: Islamic Urban Centers; Ilkhanid State; Abu Sa'id Bahadur Khan; Mongols; Ilkhanid Architecture; Mamluk-Ilkhanid Relations.

❋❋❋❋❋

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

تتناول هذه الورقة البحثية دراسة تاريخ مدينة السلطانية التي تُعد من أهم العواصم التي اتخذها مغول الإيلخانية[١]، في عهد «أولجايتو»[٢] (٧٠٣- ٧١٦هـ/ ١٣٠٤- ١٣١٦م)، وعهد السلطان «أبو سعيد»[٣] (٧١٦- ٧٣٦هـ/ ١٣١٦- ١٣٣٥م) والذي يرجع أصلهما إلى العنصر المغولي المنحدر من «هولاكو خان[٤] بن تولوي

(١) الإيلخانية: كلمة إيلخان كلمة مغولية الأصل، تتكون من مقطعين، أيل بمعنى الخاضع أو التابع أو المطيع، وخان بمعنى الحاكم، إذًا معنى الكلمة الخاضع للحاكم في «قراقروم» عاصمة الخان الأعظم من المغول (فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين- أسرة هولاكو خان، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، الدوحة- قطر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٨).

(٢) أولجايتو: الحاكم رقم ثمانية من حكّامهم، وُلِد سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م، وسمَّوه تيمودر منعًا للعين الشريرة والحسد (البناكتي: روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ البناكتي، ترجمة وتقديم محمود عبد الكريم علي، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٤٩٩)؛ ولما كانت أمُّه مسيحيةَ الديانة فقد عمَّدته وأطلقت عليه اسم نيقولا (Sykes, Percy: A History of Persia, Vol. II, London: Macmillan & Co, 1958, p١١٤)؛ وعندما تزوج من إحدى النساء المسلمات أقنعته بدخول الدين الإسلامي، فتسمى بمحمد وأطلق عليه لقب غياث الدين (ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ج٥، ص٥٤٩؛ العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان -عصر سلاطين المماليك، حققه محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج٤، ص٣١٩)؛ ومعنى أولجايتو في اللغة المغولية هو المغفور له (عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد علاء الدين منصور، مراجعة: السباعي محمد السباعي، الطبعة الأولى، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ص٤٧٦)؛ كما أُطلق عليه اسم «خدابنده»، والسبب في تسميته بهذا الاسم أنه بعد وفاة والده أرغون فرَّ هاربًا من أخيه غازان إلى نواحي شِيرَاز وكَرْمان، واختلط بالخربندكية والمكارين، أصحاب البغال والحمير، وأمضى وقتًا غير قليل معهم، فأطلق عليه الناس هذا اللقب (البدليسي: شرفنامه، ترجمة محمد علي عوني، راجعه يحيى الخشاب، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٢م، ج٢، ص٢٠)؛ وقد أطلق الشيعة عليه اسم خدابنده بمعنى عبد الله (ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٢٤١)؛ تولى أولجايتو حكم إقليم خُرَاسَان في عهد أخيه غازان، حتى وفاة أخيه واعتلائه العرش (حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ رشيدي، جاب دوم، مقدمة وحواش وتعليقات خانبابا بياني، شركة تضامني علمي، تهران، سنة ١٣١٧هـ. ش، ص٦٦).

(٣) أبو سعيد بن أولجايتو تولى حكم إقليم خُرَاسَان في سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م (عباس إقبال: تاريخ المغول منذ حملة چنگيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبوظبي- الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص٣٢٠؛ Sykes: A History of Persia, Vol. II, P.١١٥ ؛ وقد تعرضت الإيلخانية في عهده لعدة هجمات من قبل خانية جغتاي في بلاد ما وراءَ النَّهْر، ومن الأوزبك خان ملك صحراء القبجاق، وقد تمكن أبو سعيد بمساعدة أتابكه الأمير ستي من إنزال الهزيمة بهم (البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٢٣؛ فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤١١- ٤١٤؛
D'Ohsson, Constantin Mouradgea: Histoire des Mongols, depuis Tchinguiz-Khan jusqu'à Timour Bey ou Tamerlan, Tom. III, La Haye et Amsterdam: Les Frères Van Cleef, 1834, pp. 600601-.

(٤) هولاكو: حفيد جنكيز خان الذي هاجم البلاد الإسلامية وخُوَارزم في عهد السلطان علاء الدين خوارزمشاه وقتله في ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج١٢، ص٣٩٤؛ الجوزجاني: طبقات ناصري، ترجمة ودراسة: ملكة علي التركي، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ج٢، ص١٢٨- ١٣٠)؛ فعندما اعتلى الإمبراطور منكو قاآن عرش إمبراطورية المغول في قراقورم جهز حملة عسكرية كبيرة للزحف على إيران وقلاع الإسماعيلية (الهمذاني: جامع التواريخ، الإيلخانيون، تاريخ أبناء هولاكو أباقا خان إلى كيخاتو خان، نقله إلى العربية محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد، راجعة يحيى الخشاب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٠م، مج٢، ج٢، ص٣٤٠)؛ وقد تمكن من إسقاط الخلافة العباسية، وقتل الخليفة المستعصم في سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م (الجويني: تاريخ فاتح العالم المعروف بـ تاريخ جهانگشاى، ترجمة: محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١، ص٣٦٣؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، تقديم حسين مؤنس، تحقيق: محمد زينهم محمد عزت، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م، ج٣، ص٢٣٣؛ العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج١، ص١٦٧)؛ ولم يوقف تقدمه إلى بلاد الشَّام إلا عودته إلى قراقورم بسبب وفاة أخيه الإمبراطور، وتجهيز الجيوش المملوكية بقيادة سيف الدين قطز الذي انتصر على كتبغا نائب هولاكو في موقعة عين جالوت (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه وصححه: أنطون صالحاني اليسوعي، الطبعة الثانية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت- لبنان، ١٩٥٨م، ص٢٨٠)؛ وقد توفي هولاكو في سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م في مدينة المَرَاغَة (الجوزجاني: طبقات ناصري، ج٢، ص٢٠٥؛ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق مهدي المنجم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٢٥٣).

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبد الرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

بن جنكيز خان»[١]، حيث تولى قرابة السبعة عشر إيلخانًا منهم حكم منطقة اشتملت على العِرَاق العجمي والعربي وخُرَاسَان[٢] وبلاد الرُّوْم[٣] وأَذْرَبِيْجَان[٤] والبلاد الأَرْمِيْنِيَّة[٥] ودِيَار بكْر[٦]، ويعد بعض المؤرخين أن عام ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م هو نهاية هذه الدولة، وذلك لما طرأ على حكامها من تدهور وضعف، حيث صار منصب الإيلخان موضع نزاع بين الأمراء غير الأكفاء، فانتقلت العاصمة من مدينة السلطانية التي صارت أطلالًا إلى العاصمة القديمة مدينة تِبْرِيز.

أولًا:- عواصم الإيلخانية قبل السلطانية:

لم تكن السلطانية هي العاصمة التي اتخذها الأيلخانيون منذ بداية عهدهم في إيران، فلقد أقدم «هولاكو» على فتح تلك المناطق بأمر من الإمبراطور «منكوقا آن»[٧] -الخان الأعظم للمغول- بالقضاء على قلاع «الإسماعيلية» وإسقاط الخلافة العباسية بَغْدَاد، فاختار مدينة بادغيس[٨] قاعدة لانطلاق جيوشه ومقامًا له، وبعد فتحه أَصْفَهَان[٩]، واستكمال فتوحاته اتخذ من مدينة المَرَاغَة[١٠] إحدى مدن أَذْرَبِيْجَان عاصمة لإمبراطوريته لطيب هوائها وقربها من بلاد الشَّام ومصر، أكبر الأهداف الإستراتيجية التي كان يرغب في فتحها، ولقد ظلت المَرَاغَة عاصمة لـ«هولاكو» حتى توفي فدفن بقلعة تلا بالمَرَاغَة[١١].

لقد حظيت مدينة المَرَاغَة العاصمة باهتمام كبير من قبل «هولاكو»، فأنشأ مرصدًا فيها، نظرًا لاهتمامه

---

(١) جنكيز خان: اسمه تيموجين، يتصف بالبنية القوية وضخامة الجسم، وهو في غاية الشجاعة والذكاء، وحَّد القبائل المغولية تحت سلطانه ونفوذه، وتلقَّب بجنكيز خان، ووضع في ٦٠٣هـ/١٢٠٦م ما يُعرف بالياسا الجنكيزية دستورًا لهذه القبائل (الجوزجاني: طبقات ناصري، ص١١٦، ١٥٨).

(٢) خُرَاسَان: بلادٌ مشهورة، شرقها ما وراءَ النَّهْر وغربها قهستان، قصبتها مَرْو، وهي من أعمر الأراضي وأكثرها خيراتٍ، وأهلها أحسنُ الناس صورةً وأكملهم عقلًا وأكثرهم رغبةً في الدين والعلم (القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٣٦١).

(٣) بلاد الرُّوْم: بلاد واسعة من أنزه النواحي وأخصبها وأكثرها خيرًا، مياهها أعذب المياه وهواؤها صحي وطيب، وترابها أطيب الأتربة وأصحها، وأهلها مسلمون ونصارى (القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٣٠).

(٤) أَذْرَبِيْجَان: من أشهر مدنها تِبْرِيز، وهي قصبتها وأكبر مدنها، وأَذْرَبِيْجَان مملكة عظيمة، الغالب عليها الجبال، وفيها قلاع كثيرة، وخيرات واسعة وفواكه جمة، وقد فُتِحَت أَذْرَبِيْجَان في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بقيادة المغيرة بن شعبة الثقفي والي الكُوْفَة (ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج١، ص١٥٦).

(٥) أَرْمِيْنِيَّة: اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال، والنسبة إليها أرمني، وقيل: أَرْمِيْنِيَّة الكبرى خِلَاط ونواحيها، وأَرْمِيْنِيَّة الصغرى تفليس ونواحيها (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٩١).

(٦) دِيَار بكْر: ناحية ذات قرى ومدن كثيرة بين الشَّام والعِرَاق، قصبتها المُوْصِل وحرّان، وبها دِجْلَة والفُرات (القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٦٨).

(٧) منكوقاآن: إمبراطور الدولة المغولية في قراقورم، جهَّز هولاكو وقوبيلاي أخويه لغزو الشرق والغرب، تولَّى الحكم من بعده خمسة عشر حاكمًا (خواندمير: دستور الوزراء، ترجمة وتعليق حربي أمين سليمان، تقديم فؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٣٢٥)؛ وقد وصل منكو إلى العرش بترشيح من باتو، أكبر شخصية سنًا من أولاد جنكيز خان، الذي عقد مجلس القوريلتاي في الأقماق سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، ثم تم تنصيبه ثانيًا في كلوران على حسب العادة المغولية، برفع القلانس وإلقاء الأحزمة على الأكتاف وركوع الأمراء والجنود تسع مرات (الجويني: تاريخ جهانگشاى، ج٢، ص١٤٩؛ الهمذاني: جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص٢٢٥؛

D'Ohsson: Histoire des Mongols, Tom. II, P. 292.

(٨) بادغيس: ناحية تشتمل على قرى من أعمال هَرَاة، ومَرْو الروذ، وهي ذات خير ورخص، يكثر فيها شجر الهياطلة، وتكثر فيها الرياح، فتحها عبد الرحمن بن سمرة في عهد معاوية بن أبي سفيان (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٣٧٨).

(٩) أَصْفَهَان: وهي مدينة عظيمة مشهورة، وكانت مدينتها «جي» ثم صارت اليهودية، وهي من نواحي الجبل، وتتسم بطيب التربة وصحة الهواء وعذوبة الماء (القزويني: آثار البلاد، ص٢٩٦).

(١٠) المَرَاغَة: بلدة مشهورة عظيمة وهي من أَذْرَبِيْجَان، عسكر بها مروان بن محمد وهو والٍ على أَرْمِيْنِيَّة وأَذْرَبِيْجَان، فكانت دوابه ودواب أصحابه تتمرغ في الأرض، فأطلقوا عليها اسم المَرَاغَة (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٩٣).

(١١) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٢٥٣؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٢٠٧.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

بقراءة الفلك والاطلاع على علم التنجيم، وكان السبب الرئيس في إقامة هذا المرصد أن الإمبراطور «منكوقا آن» طلب من أخيه «هولاكو» إرسال الخواجة «نصر الدين الطُوسي»[١] إلى العاصمة قراقورم لإقامة المرصد هناك، إلا أنه خرج في حرب «الخطا»، وبالتالي بنى «هولاكو» المرصد في عاصمته المَرَاغَة[٢] مستفيدًا من خبرة هذا الخواجة وخبرة من استعان بهم من العلماء[٣].

وعقب توليه «أباقا خان»[٤] الحكم نقل عاصمة الإيلخانيين من المَرَاغَة إلى مدينة تِبْريز[٥]، واتخذها حاضرة لملكه، وقد شهدت تِبْريز في عهده ازدهارًا كبيرًا، خاصة أن هذه المدينة لم تتعرض للتخريب على يد المغول، ولم تعان ما عانته سائر مدن إيران من غارات التتار[٦]. وقد نظم «أباقا» شؤون المملكة فجعل الإشراف عليها للملك «صدر الدين»، كما وزع باقي الولايات على حكام يديرون شؤونها[٧].

(١) نصير الدين الطُوسي: كان من ساوة، ونشأ في طُوس، لذا اشتهر بالطُوسي، تفوق في جميع أقسام الحكمة، وألف العديد من المؤلفات منها كتاب «أخلاق ناصري»، ونظم الشعر بالعربية في مدح الخليفة المستعصم العباسي، تُوفّي سنة ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م، ودفن إلى جوار مزار موسى الكاظم (خواندمير: كتاب رجال حبيب السير، جمع عبد الحسين نوائي، دراسة وترجمة هالة حسن محمد بسيوني، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم لغات الأمم الإسلامية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، تحت إشراف محمد السعيد جمال الدين ويسري فؤاد مرسي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١٨٢- ١٨٣)؛ وقد قيل إنه دُفن في المقبرة التي أعدها الخليفة الناصر العباسي لدفنه، إلا أن ابنه الظاهر خالف وصية أبيه ودفنه في أرض الرصافة (الهمذاني: جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص٣٠٤؛ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٢٦٩).

(٢) لقد استفاد نصير الدين الطُوسي مما كان في بَغْدَاد من كنوز الكتب القيمة ونقلها إلى مرصد المَرَاغَة، وذلك أثناء إرساله للنظر في الأوقاف بها، كما استولى على العديد من الكتب من مدارس وَاسِط والبَصْرَة (ابن كثير: البداية والنهاية، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ج١٣، ص٢٤٢).

(٣) بناءً على أوامر «هولاكو» لـ«نصير الدين» بالانتهاء من بناء المرصد في وقت قياسي، فما كان منه إلا استدعاء عدد من علماء الحكمة والنجوم والكيمياء من كل صوب للاستعانة بهم في بناء هذا المرصد، أمثال «مؤيد الدين العرضي»، و«فخر الدين المراغي»، و«محيي الدين الإخلاطي»، و«نجم الدين دبيران القزويني» (القزويني: تاريخ گزيده، دراسة تاريخية وتحليلية نقدية مع ترجمة الفصول ٩، ١٠، ١١، ١٢، من الباب الرابع والباب الملحق، ترجمة فتحية حلمي أمين الدالي، ضمن رسالة ماجستير بجامعة الأزهر، كلية الدراسات الإنسانية، قسم اللغة الفارسية، إشراف عفاف السيد زيدان، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص١٦٩).

(٤) أباقاخان: هو ثاني حكام الإيلخانية، حكم ما بين ٦٦٣هـ- ٦٨٠هـ/ ١٢٦٤- ١٢٨٠م وساندته أمه السيدة «دوقوز خاتون»، وهي الزوجة المفضلة لأبيه هولاكو، وطبقًا لأحكام الياسا الجنكيزية فقد آلت هذه السيدة لأكبر أبنائه، وقد أقامت كنيسة في مخيم الأوردو (الهمذاني: جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص٢٢٠)؛ وقد حاول الإيلخان ضم بلاد الشَّام إلى مملكته إلا أنه هُزم، وتُوفي في سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨٢م (الهمذاني: جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص٨٣؛
(Howorth, Henry H. History of the Mongols: From the 9th to the 19th Century. Vol. III. London: Longmans, Green, and Co., 1888, P.270).

(٥) تِبْريز: مدينة من أذْرَبِيْجَان، وهي مدينة عامرة، ذات أسوار عالية، وفي وسطها عدة أنهار جارية، والبساتين محيطة بها (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص١٣).

(٦) الهمذاني: جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص١٣؛ البناكتي: تاريخ البناكتي، ص٤٥٨؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٢١٩؛ لقد أغار المغول على المَرَاغَة في ٦١٨هـ/ ١٢٢١م، ثم على تِبْريز؛ إلا أن صاحبها بذل لهم المال، وقدم الكثير من الثياب والدواب، لذا لم يخربوا مبانيها (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١٢، ص٣٧٧).

(٧) الهمذاني: جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص١٣.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

وظلت تِبْريز عاصمة للأيلخانيين منذ عهد «أحمد تكودار خان»[١] حتى عهد «كيخاتو خان»[٢]، وهذا الأخير أمر بتداول العملة الورقية المسماة «الجاو»[٣] مع فرضه على الرعية قانونًا يمنع تغييرها أو تبديلها، وجعل من يفعل هذا يقع تحت طائلة قانون «الياسا»[٤]، وتنسحب العقوبة كذلك على أمرائه وأولاده. وهذا يدلنا على تداولها في تِبْريز العاصمة[٥].

كما استمرت مدينة تِبْريز عاصمة للأيلخانية في عهد «غازان خان» الذي دخلها في العاشر من ذي الحجة ٦٩٤هـ/ ٢١ أكتوبر ١٢٩٥م، وكان في استقباله الوزير «صدر الدين الزنجاني»[٦]، وقد أعلن «غازان» إسلامه في تِبْريز بحضور الشيخ «زيادة صدر الدين إبراهيم بن حمويه»[٧]، وأطلق «غازان» على نفسه اسمًا مسلمًا هو «محمود»، ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ ابتهاجًا بتلك المناسبة السعيدة[٨]، ولقد كانت تِبْريز كعاصمة للأيلخانية من أهم المدن التي شيد فيها «غازان» عدة منشآت معمارية، منها جامعًا ومدرسة، وبنى قبة لتكون ضريحًا له، وهذه القبة ليس لها نظير في علوها وسعتها، وقد استغرق بناؤها حوالي خمس سنوات كاملة، كما شيد وزيره «علي شاه الجِيْلاني» جامعًا كبيرًا في تِبْريز العاصمة[٩]. وعندما توفي «غازان» في قَزْوِيْن[١٠] في سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م، حمل جثمانه إلى عاصمته تِبْريز، ودفن في القبة التي بناها لهذا الغرض[١١]، ولم تكن قبور ملوك المغول معروفة قبل ذلك، ومن ثم تولى أخوه «أولجايتو» الحكم في تِبْريز فأغدق العطايا والهبات على الأمراء بمناسبة هذا التنصيب[١٢].

---

(١) أحمد تكودار خان: ثالث حكام الإيلخانية، حكم قرابة العامين ٦٨١- ٦٨٣هـ/ ١٢٨٢- ١٢٨٣م، وقد اعتنق الإسلام على يد أنصار الطريقة الأحمدية - أتباع السيد أحمد البدوي، لذا تسمى بأحمد، وراسل سلطان مصر المملوكي المنصور قلاوون، بغرض طلب الصلح والتقارب معه (ميرخواند: روضة الصفا، طبعة طهران، ١٣٣٩هـ.ش، ج٥، ص٣٣١)؛ وقد انتهت حياة أحمد تكودار بالقبض عليه وقتله على يد أرغون خان الذي تولى بدلًا منه العرش ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٩٨؛ فؤاد عبدالمعطي الصياد: الشرق الإسلامي، ص١٤٨)؛

Howorth: History of the Mongols, Vol. III, P. 290.

(٢) كيخاتو: تولى الإيلخانية سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م خلفًا لأرغون خان حتى سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م، ظهر في عهده عِدَّةُ فتن وثورات من قِبَل ولاة الأقاليم، مثل ثورة حاكم لورستان وثورة التركمان واليونان في بلاد الرُّوْم، فزحف كيخاتو بنفسه للقضاء عليها (برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ترجمة خالد أسعد عيسى، مراجعة سهيل زكار، الطبعة الأولى، دار حسان للطباعة، دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٧١).

(٣) الجاو: عبارة عن قراطيس مختومة بخاتم الملك يتعامل بها في جميع بلاد الخطا والصّيْن بدلاً من الدراهم والفضة، وقد روجوه في مدينة تِبْريز، وتراوحت قيمتها بين نصف درهم وعشرة دنانير (الهمذاني: جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص١٨١- ١٨٢).

(٤) الياسا الجنكيزية: هي الفرمانات والتعليمات التي وضعها جنكيز خان لحكم المغول، وتنص الياسا في شأن تولية العرش أن تتولى زوجة الخان المتوفى إدارة البلاد حتى يتم الاتفاق على تعيين حاكم جديد (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٥).

(٥) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٣٢٤؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٢٥٨.

(٦) صدر الدين الزنجاني: كان من أبناء أحد قضاة ولاية زَنْجان، التحق في شبابه بخدمة الأمير طغاجار، وعينه كيخاتو وزيرًا في تِبْريز، فأدار أمور السلطنة والديوان، فلقبه بصدر الدنيا ومنحه خاتمًا وأطواقًا وطبلًا وخصص له عددًا من العسكر لحراسته (خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٦٦- ٣٦٧)؛ وقد قُتل بأمر من غازان خان عندما ظهر له سوء سيرته (ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٣٣٤).

(٧) الشيخ الصوفي الزاهد والإمام الخليل صدر الدين أبو المجامع إبراهيم بن سعد الدين الشافعي، ولد في سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٤٦م، في آمُل بطَبَرِسْتَان، وتتلمذ على أكثر علماء عصره، نال حظوة كبيرة في بلاط الإيلخانية، وتوفي سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م (الهمذاني: تاريخ غازان خان، ترجمة وتقديم وتعليق: فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٢٣- ١٢٤).

(٨) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٨١.

(٩) البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص١٦- ١٧.

(١٠) القاشاني: تاريخ أولجاتيو المعروف بتاريخ بادشاه سعيد غياث الدنيا والدين أولجايتو، مجموعة متون فارسي زير نظر احسان يار شاطر شمارة، به اهتمام مهين همبلي، تهران، ١٣٤٨هـ.ش، ص١٥؛ قَزْوِيْن: مدينة كبيرة مشهورة عامرة، طيبة التربة واسعة الرقعة كثيرة البساتين والأشجار، وهي مدينتان إحداهما في وسط الأخرى، والمدينة الصغرى تُسمَّى شهرستان، لها سور وأبواب، والمدينة الكبرى محيطة بها (القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٣٤).

(١١) القزويني: تاريخ گزيده، ص١٨٣.

(١٢) القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص٢٦.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

ثانيًا: تشييد مدينة السلطانية:

لقد شرع «أولجايتو» في بناء مدينة السلطانية منذ عام ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م في المكان الذي يسميه المغول «قنغور آلانك»[١]، وهو موضع يقع شمال غربي العِرَاق العجمي[٢] على مسافة خمسة فراسخ من زَنْجان[٣]، وتسعة فراسخ من أَبْهَر[٤]، ويسميها البدليسي[٥] «النك قنقور» حيث بنى البلدة والقلعة فيها.

شيدت مدينة السلطانية في مكان ذي مروج ومرتع للحيوانات والأغنام، فقد كانت خربةً تمامًا، وكان قادة المغول وجنودهم ينزلون في هذا الموضع في طريق ذهابهم وإيابهم بين العِرَاق وأَذْرَبِيْجَان والعكس[٦]، فأتم بناءها في حدود العشر سنوات، حيث صارت في سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٣م كأحد أعظم البلاد، وأنشئت بها كثير من العمائر والمساجد والحمامات والأسواق، وتجمع بها سكان كثيرون من كل الطبقات، أي أنه جعل جميع عناصر السكان وطوائف المجتمع تعمر تلك المدينة[٧].

وقد قيل إن الذي فكر في إقامة تلك المدينة «أرغون خان»[٨]، ولكنه توفي دون أن يحقق ذلك[٩]، بينما يشير عباس إقبال[١٠] إلى أن «غازان» هو الذي بدأ في أواخر حياته في التفكير في إقامتها، وأنه شرع في تنفيذ ذلك بالفعل لولا أنه وافاه الأجل، وفي حقيقة الأمر فإنني أميل إلى رأي عباس إقبال بأن «غازان» هو الذي شرع في تشييد هذه المدينة وليس «أرغون»، الذي حكم ما بين ٦٨٣هـ- ٦٩٠هـ/ ١٢٨٤- ١٢٩١م وجاء بعده أخوه «كيخاتو» ثم «بايدو»[١١]، وفي حين توفي «غازان» في سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م ومن خلال سيرته نلحظ أنه كان يميل إلى البناء والتشييد، وقد تولى خلفًا له «أولجايتو» مباشرة.

شيد «أولجايتو» السلطانية على شكل حصن مربع الشكل، حوله سور بطول ثلاثين ألف ذراع وبلغ سمك جدرانه اتساعًا يسمح لأربعة فرسان بالتحرك فوقها جنبًا إلى جنب، وأقام في منتصف المدينة قلعة ضخمة تشبه المدينة في ضخامتها، وبنى فيها ضريحًا لنفسه يعرف «بقبة شاه خدابنده»، ويعد هذا الضريح من أهم

---

(١) فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٥١.
(٢) القزويني: تاريخ گزيده، ص١٨٤.
(٣) زَنْجان: هي قريبة من أَبْهَر وقَزْوِيْن، ويقول العامة عنها زنكان، وقد فتحها البراء بن عازب في خلافة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ثم أكمل فتوحاته بقَزْوِيْن فملكها (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص١٥٢).
(٤) أَبْهَر: مدينة بأرض الجبال كثيرة المياه والأشجار، وهي في غاية النزاهة من طيب الهواء والبساتين، وخارجها أطيب من داخلها، ينزل فيها العساكر والجنود (القزويني: آثار البلاد، ص٢٨٧).
(٥) شرفنامه، ج٢، ص٢٠.
(٦) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣١٠.
(٧) عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٤٧٧.
(٨) أرغون خان: هو الحاكم رقم أربعة من الإيلخانات، قتل أحمد تكودار في سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م، وتولى الحكم بدلاً منه بمساندة السيدة أولجاي خاتون زوجة أباقا، واتبع سياسة مخالفة لسابقيه وهي الاعتماد على اليهود في المناصب الكبرى مثل سعد الدين اليهودي في الوزارة (خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٥٩)؛ الذي استعان بأقاربه من اليهود في حكم الولايات وأظهر بذلك الكراهية للمسلمين، واستمر ذلك حتى تآمر الأمراء عليه وقتلوه في صفر ٦٩٠هـ/ فبراير ١٢٩١م، ثم أعقب ذلك وفاة الإيلخان أرغون في ربيع الأول من العام نفسه/ مارس ١٢٩١م (البناكتي: تاريخ البناكتي، ص٤٧١، ميرخواند: روضة الصفا، ج٥، ص٣٦١؛ برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص٧٠)؛

Howorth: History of the Mongols, Vol. III, P. 350.

(٩) حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ رشيدي، ص٦٧.
(١٠) تاريخ المغول، ص٣١٠.
(١١) بايدو: هو بايدو بن طوغاي بن هولاكو، السادس من ملوك الإيلخانية، لم يستمر طويلًا نتيجة لتآمر كيخاتو عليه، لذا كانت فترة حكمه من جمادى الأولى ٦٩٤هـ/ مارس ١٢٩٥م، إلى ذي القعدة من العام نفسه/ سبتمبر ١٢٩٥م (البناكتي: تاريخ البناكتي، ص٤٧٧؛ خواندمير: حبيب السير في أخبار أفراد البشر، جزء أول جلد سوم، انتشارات كتابخانه خيام، سنة١٣٣٣هـ. ش، ص١٤؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٢٥٩).

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

نماذج العمارة المغولية[١]، وقد بدأ الفنانون من فَارِس وقَزْوِيْن يتبارون في تزيين المدينة، فتمت انجازات فنية جديدة تبرز الأسلوب الأيلخاني في فن البناء وتميزت بالأبراج المثمنة[٢]، وقد وصف البدليسي[٣] مدينة السلطانية: (بأنها بلدة على شكل مربع طول كل ضلع منها خمسمائة ذراع، ولها باب عظيم وستة عشر برجًا).

وقد اقتفى «أولجايتو» في بنائها الأسلوب الذي سار عليه «غازان» في بنائه «شنب غازان» في تِبْريز، فقد أمر ببناء سبعة مساجد زين أحدها بالمرمر والصّيْني، وأقام فيها كثيرًا من الأبنية كدار الشفاء ودار الدواء ودار السيادة والخانقاه[٤]، وأقام قصرًا لإقامته الخاصة، ومدرسة كبيرة على غرار المدرسة «المستنصرية» بَغْدَاد، استدعى إليها المدرسين والعلماء وأهل البحث والعلم من كل حدب وصوب[٥]، وإمعانًا وتفخيمًا في بناء السلطانية فقد أشار ابن خلدون[٦] إلى ذلك بقوله: (ثم أنشأ مدينة.. واتخذ بها بيتًا لطيفًا بلبن الذهب والفضة وأنشأ بإزائه بستانًا جعل فيه أشجار الذهب بثمر اللؤلؤ والفصوص وأجرى اللبن والعسل أنهارًا، وأسكن به الغلمان والجواري تشبيهًا له بالجنة)، وفي ذلك كثير من المبالغة من مؤرخنا ابن خلدون.

ونتيجة لرغبة «أولجايتو» الشديدة في البناء والتشييد - حيث عُرف عنه الميل إلى التعمير - فقد أقام عدة مبانٍ غير السلطانية، منها مدينة باسم «سلطان آباد وجمجمال»، وفي «موغان» إحدى مدن أَذَرْبَيْجَان رفع أعمدة مدينة أطلق عليها اسم «سلطان آباد» على ضفاف النهر[٧]، كما قام بتجديد جسر بَغْدَاد، وبَنى جامعًا فيها أنفق عليه ألف ألف درهم، فى سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م[٨].

لقد أنفق «أولجايتو» على بناء عاصمته السلطانية مبالغ طائلة، حيث كان تحت يديه خزائن «غازان» وكل مخصصات الولايات التابعة للمملكة، كما أوفد الرسل لجميع الجهات لتحصيل الضرائب والعوائد المقررة على الرعية، وجلب أرباب الحرف والفنيين مع نسائهم وأولادهم إلى مقر الإنشاء[٩]، مما يدلنا على مدى اهتمام «أولجايتو» بتشييد عاصمته وحاضرة مملكته.

وقد تجلى اهتمام رجال الدولة في عهد «أولجايتو» ورغبتهم في التشييد في السلطانية في بناء قصورهم بها، وخير دليل على ذلك الوزير «رشيد الدين فضل الله الهمداني»، الذي أقام محلةً على نفقته الخاصة ضمت ما يقرب من ألف منزل ومسجد ومدرسة ودار للشفاء وخانقاه[١٠]، مما يوضح مدى رغبتهم في إظهار مدينة السلطانية بصورة مبهرة وفاخرة، لذا عيَّن «أولجايتو» على مدينته «رشيد الدين» نائبًا يتفقد أحوالها وييسر شؤون تشييدها، ويوفر سبل الأمن والاستقرار بها، ثم صيره حاكمًا عليها[١١]، كذلك شيد الوزير «تاج الدين عليشاه»

(١) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣١٠؛ فؤاد عبد المعطي الصياد: مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني، الطبعة الأولى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م، ص١٤١؛ ويشير فؤاد عبد المعطي الصياد إلى ما ذكره زكي محمد حسن عن هذا الضريح أنه نموذج لروعة فن العمارة الإسلامية في عصر المغول، فذكر أنه من الأضرحة ذات القباب التي زادت عظمةً وفخامةً بازدياد مساحتها وارتفاعها، وبكثرة استخدام العقود فيها، مع زيادة تأثير العلو والارتفاع بأكتاف بناها حول قاعدة القبة، كأنها المآذن الممشوقة (الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص٣٥٢).
(٢) برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص٧٧.
(٣) شرفنامه، ج٢، ص٢٥.
(٤) الخانقاه: تُسمَّى الخوانق، وهي كلمة فارسية بمعنى البيت مفردها خانقاه، والأمراء يبنون تلك الخوانق لطائفة الفقراء والدرويش (ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٥٦).
(٥) عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٤٧٧؛ تاريخ المغول، ص٣١١.
(٦) العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٥، ص٥٤٩.
(٧) القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص٢٢٥؛ فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٥١.
(٨) العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٣١٣.
(٩) فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٥١.
(١٠) فؤاد عبد المعطي الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص١٤٢.
(١١) فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٥٢.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

في السلطانية على نفقته الخاصة عدة أبنية وأقام سوقًا لم يرَ مثيلٌ له، فحاز بذلك على رضى «أولجايتو»[١].

اعتبرت مدينة السلطانية مكانًا لدفن أبناء «أولجايتو» وزوجاته، الذين بلغ عددهم عشرة أبناء: ستة أولاد وأربع بنات، مات معظمهم في سن صغيرة، فدفنهم في قلعة السلطانية، وعندما توفيت زوجته «إيلتورميش خاتون»، وابنته «فاطمة خاتون» من زوجته «قتلغ شاه خاتون» في سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م تم دفنهما في مدينة آران، ثم نقل جثمانهما إلى السلطانية بعد تمام بنائها[٢]، بناءً على رغبة «أولجايتو» في جمع رفات أسرته بجوار قبته في السلطانية التي أعدها لهذا الغرض والتي دُفن بها «أولجايتو» نفسه في سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م[٣]، وجدير بالذكر أن السلطان «أبا سعيد بهادر شاه» عقب وفاته في ١٣ ربيع الأول ٧٣٦هـ/ ٣١ أكتوبر ١٣٣٥م، تم نقل جثمانه إلى مدينة السلطانية، ودُفن في الجامع الذي بناه لهذا الغرض[٤]، ويطلق على ذلك الموضع اسم «شروباز»[٥].

ولا بد أن نشير في نهاية هذه النقطة إلى أمر مهم؛ فرغم المجهودات الكبيرة التي بذلها «أولجايتو» في تزيين السلطانية وبنائها، وجلبه الحرفيين من تِبْريز، وتكليفهم بالترويج عن صناعاتهم والسعي إلى ازدهار المدينة حتى غدت سلطانيته من أولى مدن الممالك الإيلخانية في فترة وجيزة من الوقت، ورغم استقرار ابنه أبي سعيد فيها واتخاذها حاضرة لملكه أيضًا، إلا أن هذه المكانة لم يُكتب لها الدوام، فقد فقدت أهميتها بعد وفاة أبي سعيد في ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م، وآلت إلى الخراب بالسرعة نفسها التي ازدهرت بها، فسرعان ما سوّى «تيمورلنك» بباقي مبانيها الأرض، فخربت وتهدمت[٦].

ثالثًا:- الجيوش السلطانية في عهدي أولجايتو وأبي سعيد:

حرص «أولجايتو» على أن تكون مدينة السلطانية المركز الأول الذي تخرج منه الجيوش الرئيسة للغزو، فسارع عقب اعتلائه العرش إلى إسناد القيادة العامة للجيوش إلى الأمير «قتلغشاه» – قطوشاه – ثم وضع تحت قيادته عددًا كبيرًا من الأمراء مثل الأمير «جوبان»، والأمير «فولاء»، والأمير «سونج»، والأمير «إيسن قتلغ»؛ وبذلك نظَّم رأس جيشه، ثم تدرج في إعداد باقي أركانه، فأصبح على أتم استعداد لخوض أي معارك خارجية[٧].

وأول ما يصادفنا من عملياته العسكرية هي فتح مدينة هَرَاة[٨]، ومعاقبة حاكمها الملك «فخر الدين كرت»؛ نتيجةً لعدم تقديم – هذا الأخير – التهنئة على جلوس «أولجايتو» على العرش، فأيقن بإعلانه الخلاف على دولته، وبالتالي جهَّز جيشه تحت قيادة «دانشمند» ووجَّهه إلى هَرَاة ففتحها، وفرض «أولجايتو» على أبناء هذا الملك الوصاية، وتدخل في تعيين حاكمها حيث أقام «غياث الدين فخر الدين» مكانه، وأضحت بذلك هَرَاة تابعةً للدولة الإيلخانية[٩].

---

(١) القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص٢٢٥؛ عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٤٨١.
(٢) البناكتي: تاريخ البناكتي، ص٤٩٩.
(٣) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٥، ص٥٤٩؛ البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٢٤- ٢٥.
(٤) السمرقندي: مطلع السعدين ومجمع البحرين، ترجمة أحمد رياض عز العرب، ضمن رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم اللغات الشرقية، جامعة جنوب الوادي، سوهاج، إشراف شعبان طرطور، ١٣١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٢٦٢؛ البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٣٥.
(٥) السمرقندي: مطلع السعدين ومجمع البحرين، ص٢٦٤.
(٦) البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٢٥؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣١١؛ تاريخ إيران، ص٤٧٨.
(7) Howorth: History of the Mongols, Vol. III, p.p. 535- 536.
(٨) هَرَاة: مدينة من مدن خُرَاسَان، وهي من أجلّ وأعمر المدن، بها بساتين كثيرة، ومياه غزيرة، ويُحمل من هَرَاة الأواني الصُّفرية المطعمة بالفضة وأنواع الديباج (القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٨١).
(٩) ميرخواند: روضة الصفا، ج٥، ص٤٥٤؛ خواندمير: حبيب السير، جزء أول جلد سوم، ص٢٠١.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبد الرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

لقد خرجت الجيوش الإيلخانية في عهد «أولجايتو» تجاه منطقة جِيلان -كِيلان[١]-، ويرجع السبب في ذلك إلى ما بلغ مسامعه من أن أهلها على مذهب مخالف لمذهب المسلمين، وكانت جِيلان مقسمة بين سبعة عشر حاكمًا، وقد قاد جيش «أولجايتو» القائد «قتلغشاه» في أربعين ألفًا، والأمير «جوبان» في عشرين ألفًا، وقد قُتل «قتلغشاه» في هذه المعركة[٢]، وعاد «جوبان» ومعه أسرى من أمراء تلك المناطق[٣]، ومن ثم خرج «أولجايتو» على رأس جيوشه إلى جِيلان وتمكن من فرض الجزية على حكامها التي قُدِّرت بكمية كبيرة من المنسوجات الحريرية التي تشتهر بها هذه المناطق، وخطب باسمه على منابرها، وكتب اسمه كذلك على السكة[٤].

رابعًا - علاقة السلطانية بسلاطين المماليك في مصر والشَّام:

اتسمت علاقة السلطانية في عهد «أولجايتو» بالود والسلام في بداية عهده مع سلاطين المماليك في مصر والشَّام، ثم تحولت هذه العلاقة من المصالحة إلى الحرب، فقد بدأ حكمه بإرسال الرسل إلى السلطان «الناصر محمد بن قلاوون» يطلب الصلح وعقد المعاهدات، والاتفاق على هدنة مدتها خمسون عامًا أو أقلها اثنتا عشرة سنة، يستطيع الطرفان فيها تعمير البلدان والعمل على استقرار شؤون الحكم، متهمًا أخاه غازان في إسلامه بقوله: (.. أنه كان مسلمًا في الظاهر كافرًا في الباطن)[٥]، وبذلك يعد «أولجايتو» غيّر سياسة أخيه «غازان» الذي هاجم بلاد الشَّام ثلاث مرات، بسبب فرار بعض أمراء الأيلخانيين إلى مصر وترحيب السلطان بهم[٦].

ولكن سياسة «أولجايتو» لم تستمر على تلك الوتيرة في علاقاته بالمماليك، فقد غير سياسته في ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، فاستقبل عددًا من أمراء الشَّام الفارين من السلطان «الناصر محمد بن قلاوون» المملوكي تجاه المملكة الإيلخانية، منهم الأمير «شمس الدين قراسنقر الزركاشي» والأمير «جمال الدين الأفرام»، فأرسل لهم تومانًا[٧] من الجند لاستقبالهما تحت قيادة أمير مغولي هو «سوتاي»، ثم أقطع كل منهم مدينة إيرانية ليحكمها، وعين لهم رواتب كبيرة للصرف منها، وقد قام هذان الأميران المملوكيان بتسهيل مهمة «أولجايتو» لغزو بلاد الشَّام ويسّرا الأمر عليه[٨].

وبناءً على ذلك فقد زحف «أولجايتو» إلى الشَّام ونزل في الرحبة وزحف على قلعتها وحاصرها ثلاثة وعشرين يومًا، إلا أنه ما لبث أن رحل عنها، بسبب غلاء الأسعار وقلة العلف والمراعي وموت أكثر الخيول،

---

(١) جِيلان أو كِيلان: منطقة ممتدة ما بين حدود أَرْدَبِيل وخلخال، وفي جِيلان قوم من أبناء فَارِس عملوا بالزراعة فيها (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٠١).

(٢) القزويني: تاريخ گزيده، ص١٨٤؛ العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٣٨٥- ٣٨٦.

(٣) ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر: المعروف بالدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: هانس روبرت رويمر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة- مصر، ١٩٦٠م، ج٩، ص١٤٩؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ١٩٧٦م، ج١، ص٢٨٢؛ ابن سباط: صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، عني بتحقيقه عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس- لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج٢، ص٥٩٥.

(٤) القزويني: تاريخ گزيده، ص١٨٤؛ عن حرب كِيلان انظر عباس العزاوي: تاريخ العِرَاق بين احتلالين- حكومة المغول، ٦٥٦- ٧٣٨هـ/ ١٢٥٨- ١٣٣٨م»، طبع في مطبعة بَغْدَاد، سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م، ج١، ص٤٠٤.

(٥) ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر، ج٩، ص١٢٧؛ القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص٤٨؛ ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ج٢، ص٥٨٥.

(٦) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص٥٨؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج١، ص٢١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٢؛ العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٨١؛ خواندمير: حبيب السير، ج١، جلد سوم، ص١٧٧؛
Sykes: A History of Persia, Vol. II, P.234

(٧) التومان: لفظٌ فارسيّ مفرده تومان، ويعني عشرة آلاف جندي (اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق أحمد حطيط، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، هامش٣، ص١٧١).

(٨) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص١٤٠؛ القزويني: تاريخ گزيده، ص١٨٤- ١٨٥؛ ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر، ج٩، ص٢٣٠.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

فعاد دون تحقيق أي انتصار على المماليك[١].

تولى «أبو سعيد»[٢] حكم الدولة الإيلخانية في ٧١٧هـ- ٧٣٦هـ/ ١٣١٧- ١٣٣٥م، فاتخذ سياسة مغايرة تمامًا للسياسة التي اتبعها عمه «غازان» ووالده «أولجايتو»، حيث حرص حرصًا شديدًا على أن تسود العلاقات الودية بين عاصمة بلاده السلطانية وبين مصر والشَّام في العصر المملوكي، وكانت أولى الخطوات التي اتبعها في هذا الصدد عقد معاهدة سلام بين الطرفين سواء من الناحية السياسية أو التجارية[٣]، حيث نصت المعاهدة على حرية التبادل التجاري بينهما، وتأمين طرق التجارة ونقل البضائع بسهولة ويسر بين البلدين، الأمر الذي أدى إلى تطور حركة التجارة الخارجية بين الطرفين[٤].

وبالفعل فقد ساد السلام والمودة بين الطرفين وتجلى ذلك في موسم الحج، حيث اتخذ منه عيدًا يعدون له الترتيبات والتجهيزات، فخرج كثير من رعايا الإيلخانية لأداء فريضة الحج وسيروا معهم المحمل حاملًا علم أبي سعيد -طبقًا لشروط المعاهدة- وقوموا في وقفة عرفات ما عليهم من الذهب واللآلئ بالشيء الكثير[٥]، وقد أكد الإيلخانيون على تمسكهم بالاحتفال بالخروج لتأدية فريضة الحج، خاصة أن الخروج للحج يتم قبل موعده بفترة من الوقت، ففي شهر رمضان ٧٢٣هـ/ أكتوبر ١٣٢٣م خرج وفد من المغول على رأسهم بعض أميرات الإيلخانية منهن ابنة الإيلخان «أباقا» وأخت «أرغون» وعمة «غازان» و«أولجايتو» من العِرَاق إلى الديار المصرية، حيث أقاموا في مصر إلى حين خروج ركب الحجيج من بركة الحاج بالقاهرة، فاستقبلوا بالحفاوة والتكريم من قِبَل السلطان «الناصر محمد» وخصص لهم القصر الأبلق لإقامتهم[٦].

هذا ولم يبخل «أبو سعيد» بتوزيع الصدقات في الأراضي الحجازية فكان كثير البذل والعطاء لأهل مَكَّة، ففي ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م أرسل بعثة تحت رئاسة «أحمد بن الأمير مبارك بن عطيفة» ومعه الأمير «محمد الحويج» والشيخ «زاده الحرباوي» والشيخ «دانيات»، لتوزيع الصدقات التي بلغت اثني عشر تومانًا من الذهب على المجاورين ومشايخ العرب، وبالتالي ذُكر اسمه على منابر الجوامع، بعد ذكر اسم سلطان مصر «الناصر محمد بن قلاوون»[٧].

شيد رجال الدولة الإيلخانية عدة مشاريع عمرانية في الأراضي الحجازية في عهد «أبي سعيد»، وعلى رأسهم الأمير «جوبان»، الذي حفر عينًا بمَكَّة المُكَرَّمَة، لكثرة شكوى الحجاج من قلة الماء، أطلق عليها «عين بازان»، كما بنى مدرسة أطلق عليها المدرسة الجوبانية نسبة إليه، وأقام «جوبان» ضريحًا لدفنه في الْمَدِينَة الْمُنَوَّرَةِ، وقد عملت ابنته «بغداد خاتون» زوجة «أبي سعيد» على دفنه في مقبرته، ولكنه دفن في البقيع إلى

---

(١) ابن أيبك الدواداري: كنز الدرر، ج٩، ص٢٩١؛ اليوسفي: نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، ص٣٣٠؛ ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ج٢، ص٦١٤.

(٢) لُقِّب أبو سعيد بلقب علاء الدنيا والدين أبا سعيد خان، وعقب انتصاره على الأمير إيرنجين حاكم دِيَار بكْر، لُقِّب بلقب بهادر شاه، لما أظهره من الجلادة والبطولة في هذه المعركة (السمرقندي: مطلع السعدين ومجمع البحرين، ص١٨٩، ٢٠٨).

(٣) لمزيدٍ من التفاصيل عن معاهدة الصلح بين أبي سعيد والمماليك انظر عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٤٢؛ لقد سبق هذه المعاهدة هجومٌ من المماليك على حدود دِيَار بكْر في بداية عهد أبي سعيد، ولكن لصغر سن الإيلخان فقد ساندَه أتابكُه الأمير سونج في التصدي لهذه المحاولة (فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤١١، ٤١٤)؛

D'Ohsson: Histoire des Mongols, Tom III, P.P. 600- 601

(٤) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٤٢؛ فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٨٢.

(5) Howorth: History of the Mongols, Vol. III, P. 600.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٩٧، ١٠٥-١٠٦.

(٧) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٢٥٩؛

Howorth: History of the Mongols, Vol. III, p. 530.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبد الرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

جوار مقبرة «الحسن بن علي بن أبي طالب»[١]، كذلك قام الوزير «تاج الدين علي شاه» بإرسال بعض الهدايا القيمة إلى الكعبة المشرفة عبارة عن حلقتين من الذهب ليعلقوهما في أستارها[٢].

ومن الحقائق التاريخية التي لابد من ذكرها الصلة السياسية بين الحاكمين «أبي سعيد» و«الناصر محمد بن المنصور قلاوون» حيث وقف «الناصر محمد» معه في القضاء على الفتنة التي أحدثها «تيمورتاش بن جوبان» حاكم بلاد الرُّوم، وذلك بعد إعلان الأخير الاستقلال بإقليمه عن الإيلخان مدعيًا أنه المهدي المنتظر، وضرب العملة باسمه وقراءة الخطبة له، وفي هذه المرحلة تقدم الأمير «جوبان» إلى ابنه بجيش فقبض عليه وحمله مكبلًا بالأغلال إلى السلطانية، فعفا عنه «أبو سعيد»[٣]، إلا أن الأمير «تيمورتاش» ثار مرة أخرى بسبب وصول الأخبار بمقتل الأمير «جوبان»، وراسل السلطان «الناصر محمد» ملتمسًا اللجوء السياسي إلى مصر، وبالتالي استُقبل بالحفاوة في مصر، إلا أن السلطان «أبا سعيد» أرسل رسولًا «للناصر محمد» يوضح له نوايا الإيلخان تجاه هذا الأمير، وأنه ما قدم إلى مصر إلا بهدف امتلاكها والسيطرة عليها وفرض نفوذه فيها[٤]، وبناءً عليه فقد تشكك السلطان المملوكي في نوايا الأمير «تيمورتاش»، وإن كانت هذه الشكوك ليس لها دليل من الصحة بدليل رفضه حكم مدينة الإسكندرية وهي تعد من أكبر وأهم المدن المصرية، التي عرضها عليه «الناصر محمد»، وبذلك وضعت نهاية هذا الأمير على يد سلطان مصر، فتم خنقه وقطع رأسه وأرسلت إلى السلطانية في شوال ٧٢٨هـ/ سبتمبر ١٣٢٨م[٥]، وهكذا نرى أن العلاقات الطيبة نتيجة معاهدة السلام أدت إلى تدخل السلطان «الناصر» لصالح الإيلخان، ووضعت نهاية للأمير «تيمورتاش بن الأمير جوبان» وتطلعاته السياسية في الدولة الإيلخانية.

خامسًا: بعض مظاهر الحضارة في السلطانية:

أولاً: النظام الإداري في السلطانية:

١- الإيلخان:

كان على رأس النظام الإداري والحكم الإيلخان الذي يعد الحاكم المطلق في ممتلكاته، والذي جرت العادة أن يرسل الخان الأعظم في قراقورم فرمانًا بتوليته مع الخلع والتاج، وربما يحدث أن يرفع الإيلخان للحكم لبعض الوقت ومن ثم يصل فرمان «القاآن» فينصب نفسه مرة أخرى، وذلك في الفترة الأولى من حكم الإيلخانيين، مثلما حدث أثناء تولية «أباقا خان» و«أرغون خان»[٦]، حيث أرسل الإمبراطور «قوبيلاي» من قراقورم فرمانًا بتولية عرش الإيلخانية، حيث كان يُطبق في هذه الحقبة تعاليم «الياسا» الجنكيزية التي نصت في شأن تولية العرش أن تتولى زوجة الخان المتوفى إدارة البلاد حتى يتم الاتفاق على تعيين الحاكم الجديد، ومن ثم يتم عقد مجلس القوريلتاي[٧]، ويتم الاعتراف بالإيلخان حاكمًا على البلاد.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص١٤٠؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٢، ص١٦٥؛ السمرقندي: مطلع السعدين ومجمع البحرين، ص٢٤١؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٤٢؛
Howorth: History of the Mongols, Vol. III, p. 600

(٢) عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٤٨٨.

(٣) حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ رشيدي، ص١٦٠؛ ميرخواند: روضة الصفا، ج٥، ص٥٠٤.

(٤) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص١١٤؛ السمرقندي: مطلع السعدين، ص١٩٦؛ لقد أبدى السلطان الناصر محمد استعداده لمنح تيمورتاش حكم مدينة الإسكندرية، إلا أن الأمير رفض ذلك راغبًا في حصوله على الجند والإمدادات لقتال أبي سعيد في السلطانية (ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٢٤٢- ٢٤٣).

(٥) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص١١٦؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٢، ص١٨٠؛ عباس العزاوي: تاريخ العِراق بين احتلالين، ج١، ص٥٠٥.

(٦) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٩٨؛ الهمذاني: جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص١٠- ١١، ١١٦؛ القزويني: تاريخ گزيده، ص١٦٩.

(٧) مجلس القوريلتاي: هو مجلس شورى المغول، يجتمع فيه الأمراء والنبلاء والقادة العسكريون والخواتين، لدراسة جميع أحوال الدولة، ومن ضمنها اختيار الحاكم الجديد (الجويني: تاريخ جهانگشاى، ج١، ص١٧٥).

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

وقد استمر هذا النظام معمولًا به في الإيلخانية حتى عهد «غازان» الذي نظم البلاد وترك الانتماء إلى الخان الأعظم في قراقورم، واتخذ لقب «خان» بدلًا من «إيلخان» -أي الخاضع للخان الأعظم- ووضع ما يعرف بـ«الياسا الغازانية» وسار عليها بدلًا من «الياسا الجنكيزية»[١].

أما فيما يختص بتولية «أولجايتو» فعندما وصله خبر وفاة أخيه وهو في خُرَاسَان، فقد تآمر على ابن عمه «الأفرنك» الذي كان يتطلع للحكم، وقائده «هورقداق» أكبر أمراء خُرَاسَان المؤيد للأفرنك وقضى عليهما[٢]، ثم استأذن من الزوجة الكبرى لـ«غازان» فأيدته في تولية العرش، ومن ثم عقد مجلس القوريلتاي في يوم الاثنين منتصف ذي الحجة ٧٠٣هـ/ يوليو ١٣٠٤م بحضور الأمراء وجميع الخواتين، وبذلك تربع على العرش دون الرجوع إلى «الخان الأعظم» في بلاد الصّيْن[٣].

كذلك كان اختيار «أبو سعيد» خلفًا لأبيه «أولجايتو»؛ فمنحه ولاية العهد من بعده، وأسند إليه حكم إقليم خُرَاسَان منذ سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م[٤]، وعقب وفاة «أولجايتو» خرج «الأتابك سونج» ومعه «أبو سعيد» من خُرَاسَان إلى السلطانية، واستقبله الأمراء والخواتين عند صاين -قلعة جنوب أَذْرَبِيْجَان- ووضعوا تاج «أولجايتو» وحزامه وملابسه وأسلحته على العرش، وبكوا وأعدوا مراسم العزاء، ثم دخلوا السلطانية وقدموا ولائم العزاء، ثم بدلوا ملابس العزاء وتوجوا «أبو سعيد» وانشغلوا في الشراب والطرب، وذلك حسب أحكام النجوم في تحديد يوم جلوس السلطان الجديد[٥].

٢- الوزارة:

لم تكن الوزارة مقننة القواعد ولا مقررة القواعد إلا في خلافة العباسيين، وكان الوزير قبل ذلك يسمى كاتبًا، ونتيجة لعدم خبرة المغول في شؤون الحكم والإدارة؛ اعتمدوا على أهل الممالك المغلوبة، وخاصة الفرس الذين استوفوا الشروط التي يجب توافرها في الوزير[٦]، ومن هؤلاء الوزراء أسرة «الجوينيين»، وعلى رأسهم «شمس الدين محمد الجويني» صاحب الديوان في عهدي «أباقا» و«أحمد تكودار»[٧]، و«صدر الدين أحمد بن عبد الرزاق الخالدي» في عهد «كيخاتو»[٨].

استمر منصب صاحب الديوان يطلق على الوزير حتى عهد «بايدو» سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م، عندما رأى وزيره «جمال الدين الدستجرداني» أن يطرح لقب صاحب الديوان جانبًا، ويختار لقب «الوزير»، وقد تولى هذا الوزير شهرين في عهد «غازان» ثم عزله وقتله بسبب عدم رضا الأمير «نوروز» عنه، وتولى بدلًا منه «صدر الدين أحمد الخالدي الزنجاني»[٩].

وقد جرت العادة منذ عهد «غازان» على تولية منصب الوزارة لوزيرين؛ وذلك لاتساع رقعة الدولة، وللحد من تدخل الأمراء في شؤون البلاد، وحتى يكون كل واحد منهما رقيبًا على عمل الآخر، إلا أن هذا النظام أثار النزاع بين الوزيرين، وزاد من اتساع الفرقة والانقسام بين المرؤوسين، ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما حدث

---

(١) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص٢٠٢- ٤٠٤؛ عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٤٦٧- ٤٧٥؛ تاريخ المغول، ص٢٨٩- ٢٩٦.
(٢) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٨٩؛ القزويني: تاريخ گزيده، ص١٨٣.
(٣) البناكتي: تاريخ البناكتي، ص٥٠٠.
(٤) البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٢٣.
(٥) السمرقندي: مطلع السعدين، ص١٨٨.
(٦) فؤاد عبد المعطي الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص١١٦- ١١٨.
(٧) الهمذاني: جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص٧٣؛ خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٣٧.
(٨) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٣٢٤؛ القزويني: تاريخ گزيده، ص١٨٠.
(٩) انظر خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٦٦- ٣٧١.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبد الرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

عندما عين «غازان» الخواجة سعد الدين محمد الساوجي» ومعه خواجة «رشيد الدين»[١]، وسارت أمور الوزارة على ما يرام، كما استمر الوزيران في منصبيهما في عهد «أولجايتو»، إلى أن قام «سعد الدين» بتحريض جماعة من نوابه للكيد للوزير «رشيد الدين» في مقابل خمسمائة تومان، إلا أن المكيدة بانت خيوطها فتم التحقيق معهم بمعرفة السلطان «أولجايتو»، وانتهت بإعدام الوزير «سعد الدين» وأعوانه[٢].

وبذلك أسند «أولجايتو» تدبير الوزارة إلى «رشيد الدين» وأشرك معه خواجة «علي شاه الجِيلاني»، وقد استمرا في الوزارة حتى عهد «أبي سعيد»، إلى أن قرر «رشيد الدين» اعتزال منصبه[٣]، وقد تدخل الأمير «جوبان» أمير الأمراء في محاولة إقناعه بالعودة إلى منصبه، إلا أن السلطان قتله بتهمة أنه دس السم كطبيب للسلطان «أولجايتو»، بالتعاون مع ابنه «إبراهيم» الذي كان يعمل ساقيًا في مجالس السلطان، وذلك في جمادى الأولى ٧١٨هـ/ يونيو ١٣١٨م[٤].

توفي «تاج الدين علي شاه» في سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م، بعد أن انفرد بإدارة البلاد، وأقام عدة أبنية فاخرة منها مدارس وخوانق وأربطة وأوقف عليها أوقافًا كثيرة، ومن ثم أسند «أبو سعيد» إلى ابني «علي شاه» اللذين تنازعا معًا ودخلا في خصومة كبيرة، فعزلهما السلطان من منصبيهما، مع مصادرة جميع أموالهما وممتلكاتهما[٥].

وبناءً على ذلك ولّى أبو سعيد في منصب الوزارة «ركن الدين صاين»[٦]، ولقبه بلقب الزاهد، ولكنه عُزل على يد الأمير «جوبان»، بعد اصطحابه معه إلى خُرَاسَان ثم قتله في مدينة هَرَاة[٧].

ويعد «غياث الدين محمد بن رشيد الدين الهمداني» من أهم وزراء «أبي سعيد»، الذي شاركه في الوزارة «علاء الدين محمد» من أعيان خُرَاسَان، ولكن «غياث الدين» انفرد بهذا المنصب، حيث أسند إلى «علاء الدين» ديوان الاستيفاء، وقد اهتم «غياث الدين» بالتشييد والبناء فأقام مدرسة في تَبْرِيز، سُمّيت بـ«المدرسة الغياثية» تيمنًا باسمه، وألّف علماء الفترة كتبًا قيمة ورسائل مفيدة باسمه، مثل كتاب «مواقف وفوائد غياثية» لـ«فخر العلماء القاضي عضد الدين الإيجي»[٨].

٣- الولاة:

اهتم الإيلخانيون بتعيين ولاة على الأقاليم الكبرى في ممتلكاتهم لمساندتهم في إدارة شؤون الحكم، وكان تركيزهم الأكبر على إقليم خُرَاسَان، فكان يُعيَّن أحد أفراد البيت الإيلخاني لذلك، فنرى أن «أباقا» عيّن أخاه

(١) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٧٠؛ القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص٢٨؛ القزويني: تاريخ گزيده، ص١٨١؛ البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص١٧؛ كان سعد الدين وزيرًا فاضلًا وراعيًا للفضيلة والفضلاء، ولم يكن له مثيل في علم الاستيفاء وفن الكتابة والإنشاء (خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٧٢).

(٢) البناكتي: تاريخ البناكتي، ص٥٠١؛ القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص٥٠؛ العيني: عقد الجمان، ج٤، ص٤٥٥؛ عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٤٨١؛ فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٤٩.

(٣) السمرقندي: مطلع السعدين، ص١٩٠- ١٩٢؛ البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٢٥.

(٤) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٢، ص٩٧؛ خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٧٧؛ برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص٧٨.

(٥) خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٧٨- ٣٧٩؛ حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ رشيدي، ص١١٦؛ فؤاد عبد المعطي الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص١٩٢.

(٦) ركن الدين صاين من أهل بلدة فسا من شِيرَاز، أقام فترة في نخجوان، وجدُّه كان عارضًا للجيش في الدولة الخوارزمية، وعبر نهر السند مع السلطان جلال الدين منكبرتي، ولُقِّب ركن الدين صاين بلقب نصير الدين العادل (السمرقندي: مطلع السعدين ومجمع البحرين، ص٢٢١).

(٧) القزويني: تاريخ گزيده، ص١٩٣- ١٩٥؛ البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٢٧.

(٨) القزويني: تاريخ گزيده، ص١٩٦؛ السمرقندي: مطلع السعدين ومجمع البحرين، ص٢٣١- ٢٣٢؛ خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٨١- ٣٨٢.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

«توبسين» مع تفويض الوزارة إلى «عز الدين طاهر»، كما أسند «أحمد تكودار» إلى الأمير «أرغون» حكمها في عهده[١]، وفي عهد «أرغون خان» أرسل ابنه «غازان» حاكمًا على خُرَاسَان ومَازَنْدران وقومس، مع تعيين الأمير «كينشو» مساعدًا له، والأمير «نوروز» أتابكًا عليها، وكانت الرسل تتردد دائمًا بينهما[٢].

كذلك أسند إلى الأمير «أولجايتو» -قبل تولّي الحكم- حكم خُرَاسَان نائبًا عن أخيه «غازان»[٣]، وعند وصوله للعرش أسند إلى ابنه الصغير «أبي سعيد» حكمها، الذي لم يتجاوز عمره الاثنتي عشرة سنة، وولّى الأمير «سونج» أتابكًا عليه، وأوفد مجموعة من أبناء الأمراء والقواد تتفق أعمارهم مع عمر الأمير للإقامة معه في خُرَاسَان، وقد خرج «أولجايتو» من السلطانية إلى مدينة أَبْهَر لتوديعه، وذلك في سنة ٧١٣هـ/ ١٣١٣م[٤]، وعند تولي «أبو سعيد» العرش رُفِع الأمير «شيخ علي» بن الأمير «قوشجي» من أمراء الأسرة الإيلخانية على إقليم خُرَاسَان، في سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م[٥].

أما باقي أقاليم الإيلخانة فمنها بلاد الرُّوْم التي أُسندت إلى «بالتو وسولاميش» في عهد «غازان خان»[٦]، وأرسل «أبو سعيد» في حكمها الأمير «تيمورتاش» بن الأمير «جوبان»، وجعل «جلال الدين بن رشيد الدين» وزيرًا له، ونتيجة لإغواء بعض الأمراء لـ«تيمورتاش» فقد اغتر بقوته وسكّ العملة باسمه، وتلقّب بـ«مهدي آخر الزمان»، وأعلن انفصاله عن الإيلخانية، وبالتالي خرج إليه أبوه «جوبان» بجيشٍ فقبض عليه وأعاده للعاصمة السلطانية مكبلًا بالأغلال، فعفا الإيلخان عنه إكرامًا لوالده[٧].

أما عن ولاية دِيَار بكْر وهي من الولايات المهمة في الإيلخانية فقد عُين عليها الأمير «إيرنجين»، وعلى قَزْوِيْن المؤرخ «حمد الله مستوفي القزويني»[٨]، وفي عهد السلطان «أبي سعيد» تولى حكم دِيَار بكْر الأمير «سوتاي» وتولى ابنه الأمير «طغاي بن سوتاي» على أَرْمِيْنِيَّة وخِلاَط، والأمير «تاش» على أَصْفَهَان وفَارِس وكَرْمان، وفي سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م منح الأمير «مسافر اناق» حكم بلاد فَارِس[٩].

ثانيًا: الحالة الاجتماعية في العاصمة السلطانية:

قام «أولجايتو» بجلب جميع عناصر وطبقات المجتمع في عاصمته السلطانية عند بنائها، فضلًا عن أرباب الحرف والفنيين واستقدم معهم نساءهم وأولادهم لتعميرها[١٠].

١- عناصر المجتمع في السلطانية:

يُعد المغول والترك والفرس من أهم العناصر السكانية في السلطانية، الذين اختلط بعضهم ببعض نتيجة المصاهرات فصارت بينهم صلات وثيقة، وقد أكد فؤاد عبد المعطي الصياد[١١] على تدخل عناصر المغول في شؤون الإيلخانية على أساس أنهم العنصر الغالب في البلاد، بقوله: (.. أمراء المغول يتدخلون دائمًا في شؤون البلاد وعمل الوزير خاصة، ويملون عليه إرادتهم ويحرصون على أن يظل ألعوبة في أيديهم، وأداة طيعة

(١) الهمذاني: جامع التواريخ، مج٢، ج١، ص١٢، ٩٦.
(٢) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص٨٧.
(٣) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٠٨.
(٤) السمرقندي: مطلع السعدين، ص١٨٤؛ ميرخواند: روضة الصفا، ج٥، ص٤٥٤؛ البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٢٣.
(٥) السمرقندي: مطلع السعدين ومجمع البحرين، ص٢٥٦.
(٦) القزويني: تاريخ گزيده، ص١٨١.
(٧) السمرقندي: مطلع السعدين، ص٢١٨.
(٨) فؤاد عبد المعطي الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص٤١٢؛ كان على دِيَار بكْر في عهد أباقا ملكٌ رضي الدين، ثم عُزل وتولى جلال الدين الذي اتسم بالشهامة في عهد غازان (خواندمير: رجال حبيب السير، ص١٩١).
(٩) اليوسفي: نزهة الناظر، ص٣٠٣؛ السمرقندي: مطلع السعدين، ص١٩٠، ٢٤٣، ٢٦٠.
(١٠) عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٤٧٧؛ فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٥٢.
(١١) مؤرخ المغول الكبير، ص١٢١.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبد الرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

لتحقيق مآربهم). معتمدين في ذلك على أحقيتهم في الإدارة والحكم بصفتهم من الأسرة الحاكمة.

اتصف جنود المغول في السلطانية بأنهم في غاية الانضباط خوفًا من عقوبات «الياسا»، حتى لم يجرؤ أحد منهم على التعرض للجيش[١]، وانتشر الأمن والاستقرار وأصبح صفة من صفاتهم، وكانت الطاعة العمياء لقيادتهم من أهم المهام الرئيسية في حياتهم، فعندما سيّر «أولجايتو» قائده «دفندار» إلى مَازَنْدران، انضم إلى صفوفه عشرة آلاف جندي كان أكثرهم من المغول[٢]، كذلك عندما ثار القائد «نوروز» على «غازان» انضم إليه العديد من الجنود المغول[٣]، وأطاع الأمير «جوبان» عددُ عشرين ألفٍ من الجنود المغول أثناء توجهه لحرب «الأوزبك» صاحب مغول القفجاق، وأنزل الهزيمة به، وأحضر الأسرى منهم إلى بلاد الإيلخان[٤].

أما عن عنصر الفرس في السلطانية فقد مثل العناصر أصحاب الحضارة العريقة منذ القدم، وهو العنصر الذي ساعد في استمرار التأليف، ونتيجة لوجود اللغة الفارسية فقد أُلِّفت القصائد الشعرية بها، مما دفع الكثير إلى إجادتها والاطلاع على مؤلفاتهم، الأمر الذي يوضح دور العناصر الفارسية في الارتقاء بالثقافة في السلطانية، حيث عاش العديد من الموظفين والكتاب كالوزراء، وذلك نظرًا لبداوة المغول وافتقارهم لوسائل الإدارة والإشراف على النواحي المالية، ونرى منهم الوزير «رشيد الدين فضل الله الهمذاني»[٥].

أما عن عنصر الأتراك فقد مثلوا عنصرًا من أهم عناصر السكان في السلطانية وظهر دورهم بصورة واضحة بعد انضمامهم إلى الجيوش الإيلخانية، مثل قبائل التاجيك[٦]، ومن هنا بدأت اللغة التركية في الانتشار في مجتمع المغول، كلغة للتأليف وفي الدواوين الحكومية، وقد بلغ تأثرهم إلى أن باتوا لا يكادون يعون اللغة المغولية، وصارت اللغة التركية لسان البلاط والمجتمع معًا خاصة بعد اعتناق الإيلخانيين الدين الإسلامي، فأصبحت السلطانية المركز الرئيس للاستيطان التركي المغولي، وذلك بصفتها مقر قوة الإيلخانية وحاضرتها[٧].

٢- الطوائف الدينية في مدينة السلطانية:

حفلت السلطانية بالعديد من الطوائف الدينية من المسلمين سنةً وشيعةً ومتصوفةً، حيث أصبح التصوف من المعالم البارزة بين الطوائف الدينية، وأقيمت الخانقاوات في الدولة، بالإضافة إلى أهل الذمة في مدينة السلطانية.

أ - أهل السنة: اعتنق كثير من سكان السلطانية الإسلام على مذهب السنة، فكان «غازان» مسلمًا على المذهب الشافعي[٨]، كما اعتنق «أولجايتو» في بداية حياته الإسلام على المذهب الحنفي، فقد أعلن إسلامه

(١) الجويني: تاريخ جهانگشاى، ج١، ص٢٧٢.
(٢) العيني: عقد الجمان، ج٥، ص٣٨٠- ٣٨١.
(٣) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٣٣١.
(٤) السمرقندي: مطلع السعدين، ص١٩٥- ١٩٦.
(٥) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٧٠؛ القزويني: تاريخ گزيده، ص١٨١؛ رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص٥٠؛
Saunders, J. J: The History of the Mongol Conquests. London: Routledge & Kegan Paul, 1971, P.140.
(٦) رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول، ص٥١؛
Saunders: The History of the Mongol Conquests, p.172
(٧) برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص٧٣.
(٨) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص٤١٤؛ أسلم غازان، طبقًا لنصيحة الأمير نوروز، على يد الشيخ صدر الدين حموية في سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م، وأسلم معه جميع الأمراء والجنود المغول، وأمر بإقامة المساجد والحمامات في كل قرية من قرى الإيلخانية، وخَرَّبَ كنائس كثيرة وحوّلها إلى مساجد (العيني: عقد الجمان، ج٣، ص٢٨١).

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

عقب توليه العرش بثلاثة أيام وتسمى بـ«محمد» وتلقب بـ«غياث الدين»[١]، ثم تحول إلى المذهب الشيعي، حيث زين له الفقيه «جمال الدين بن مطهر» مذهب الروافض، وفضله على غيره من المذاهب[٢].

كذلك اعتنق «أبو سعيد» الإسلام على المذهب الحنفي، ونقش على العملة في عهده أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة، فكانت عملته على وجهها: «ضرب في أيام دولة السلطان الأعظم أبي سعيد خلد الله ملكه»، وعلى الظهر: «لا إله إلا الله، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي»[٣].

لقد برزت المناظرات المذهبية بين أئمة الشافعية وأئمة الحنفية في عهد «أولجايتو» في السلطانية، فبرز الشيخ «نظام الدين عبد الملك المراغي» كقاضي قضاة الشافعية فيها، والشيخ الإمام «صدر جهان البخاري الحنفي»[٤]، ووقف الوزير «رشيد الدين» إلى جانب أئمة الشافعية، وشاركهم في المناظرة الشيخ «سيف الدين علي بن محمد الرفاعي الشافعي»[٥]، وكذلك كان قاضي القضاة «عبد الله محمد العبيدلي الفرغاني» من أمهر شيوخ الفقه الشافعي، وله مؤلفات في شرح المذهب، مثل «شرح الغاية» و«شرح القاضي ناصر الدين البيضاوي» المتوفى سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م[٦].

هذا وقد تم تأليف العديد من المؤلفات المذهبية منها «شرح الأصول» لـ«ابن الحاجب»، و«شرح حكمة الإشراق» للإمام قطب الدين محمد الشيزاري بن مسعود[٧].

ولا يفوتنا أن نشير إلى انتشار المدارس الفقهية في السلطانية، حيث شيد «أولجايتو» مدرسة كبيرة على غرار «المدرسة المستنصرية» في بَغْدَاد، استدعى إليها المدرسين والعلماء، كما شيد الوزير «رشيد الدين» في محلته بالسلطانية ألف منزل ومسجدًا ومدرسة للمذهب الشافعي ودارًا للشفاء[٨]، وأقام الوزير «علي شاه» أبنية رفيعة من مدارس وخوانق ومساجد وأوقف عليها الأوقاف، وشيد الوزير «غياث الدين محمد» مدرسته في تِبْرِيز سُميت بـ«المدرسة الغياثية» وأوقف عليها مزارع وجعلها لتدريس المذاهب الفقهية الأربعة[٩].

ب- طائفة الشيعة في السلطانية: لم تنقطع الدعوة للتشيع وللخليفة «علي بن أبي طالب» -كرم الله وجهه- وآل بيته، خاصة في العِرَاق لوجود النجف الأشرف بها، والمدرسة التي شاهدها ابن بطوطة[١٠]، وتحدث عنها، كما ارتفع شأن فقهاء التشيع في عهد «أولجايتو» في المجتمع الإيلخاني.

وباعتناق «أولجايتو» للمذهب الشيعي على يد الأمير «طرمطاز بن بايجو بخش» الذي تربى في بلاط «غازان»، واتصف بالجرأة واللباقة في الحديث، ونشأ بين صفوف الشيعة في مدينة الرَّيّ، والذي زين لـ«أولجايتو» هذا المذهب وزهده في باقي المذاهب الفقهية[١١]، والذي انضم إليه بعض أئمة الشيعة وعلى رأسهم «تاج الدين

---

(١) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٥، ص٥٤٩؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٠٩.

(٢) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٢١٩؛ ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ج٢، ص٦٠٥؛ فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٧٠.

(3) Nicol, Norman D., Raafat El-Nabarawy, and Jere L. Bacharach. Catalog of the Islamic Coins, Glass Weights, Dies, and Medals in the Egyptian National Library, Cairo. Malibu, Calif.: Undena Publications, 1982, P. 87.

(٤) البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٢١.

(٥) البناكتي: تاريخ البناكتي، ص٥٠١.

(٦) خواندمير: رجال حبيب السير، ص٢٠٧.

(٧) البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٢٢.

(٨) فؤاد عبد المعطي الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص١٤٢؛ عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٤٧٧؛ تاريخ المغول، ص٣١١.

(٩) خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٧٨- ٣٨٢.

(١٠) رحلة ابن بطوطة، ص١٩٣.

(١١) القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص٩٠؛ البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٢١؛ فؤاد عبد المعطي الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص١٤٦- ١٤٧.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبد الرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

الأوي» و«جمال الدين مطهر الحلي»[١]، فمال الإيلخان إلى الشيعة، وزار مشهد الإمام «علي» -كرم الله وجهه- بالعِرَاق، واتخذ من مذهب الاثني عشرية مذهبًا له[٢]، وبناءً على ذلك فقد اقتدى الأمراء والجنود بسلطانهم، فتبعه أعداد كبيرة منهم، فيما عدا الأميرين «جوبان» و«ايسن قتلغ» اللذين استمرا على مذهبهما السني، وكتب «أولجايتو» إلى الأقاليم التابعة لدولته يأمرهم باعتناق التشيع، فامتنع عن ذلك أهل بَغْدَاد وشِيرَاز وأَصْفَهَان، وهدد البَغْدَاديون خطيب المسجد بالقتل إن هو غيَّر في خطبة الجمعة عما هو معتاد[٣].

وزيادة في الأمر فقد أصدر الإيلخان «أولجايتو» فرمانًا بإسقاط أسماء الخلفاء الثلاثة -«أبي بكر» و«عمر» و«عثمان» رضي الله عنهم- وسائر الصحابة من خطبة الجمعة على منابر مملكته، وألا يُذكر إلا اسم «علي بن أبي طالب» -كرم الله وجهه- وأسماء الأئمة الاثني عشر، وأضاف في الأذان عبارة «حي على خير العمل»[٤]، وقد أصدر أوامره بإنشاء مدرسة أخرى في معسكره باسم «المدرسة السيارة» من خيم تطوف مع الجيش أينما ذهب وتحرك، معهم طائفة من كبار علماء الفقه إلى جانب المدرسة الخاصة بالتشيع في السلطانية التي عمل فيها ستون معلمًا ومدرسًا، واجتمع عليهم مائتا تلميذ[٥].

وبالرغم من مبالغة «أولجايتو» في تشيعه وإصراره على نشره في دولته، إلا أنه عدل في أيامه الأخيرة عن ذلك، حيث أصدر فرمانًا بإعادة ذكر أسماء الخلفاء الراشدين في خطبة الجمعة وعلى السكة، عندما رأى أن أغلبية سكان إيران رفضوا هذا المذهب، وتدخل بعض قضاة الحنابلة في قتل «تاج الدين» نقيب الأشراف العلويين[٦].

ج - **طائفة المتصوفة في السلطانية:** انتشر التصوف في الإيلخانية بوجه عام والسلطانية بوجه خاص، حيث بدأ التيار الصوفي يشتد ويتزايد خصوصًا لميل الناس إلى خصاله السمحة واللين والرحمة والحلم التي ظهرت على الدراويش، فأقبل الناس على الاندراج في سلكه، وخاصة أن التصوف بث فيهم الشعور بالأمان والرضا والسكينة والعزوف عن الدنيا.

أتبع انتشار التصوف إنشاء الخانقاوات والزوايا في السلطانية وأَذْرَبِيْجَان، ورُصدت الأوقاف للصرف على ساكنيها، ففي عهد «أولجايتو» أنشئت خانقاه وسبعة مساجد في السلطانية، وشيد وزيره «رشيد الدين» في محلته بالسلطانية خانقاه على نفقته الخاصة[٧]. كما أقام «أبو سعيد» خانقاه في السلطانية، وشيد الأمير «جوبان» خانقاه على نفقته الخاصة وخصص لها أوقافًا كثيرة، وعندما حدث الخلاف بينه وبين الإيلخان توسط شيخ الخانقاه الشيخ «ركن الملة والدين علاء الدولة» في التدخل لإزالته، إلا أن «أبا سعيد» رفض ذلك[٨]، كذلك شيد الوزير «علي شاه» في السلطانية مدارس وخوانق وأربطة ومساجد[٩]، مما يدل على

(١) القاشاني: تاريخ أولجايتو، ص٩٠؛ عباس العزاوي: تاريخ العِرَاق بين احتلالين، ج١، ص٤٠٧.
(٢) خواندمير: حبيب السير، جزء أول، جلد سوم، ص١٩١؛
Saunders: The History of the Mongol Conquests, P.136
(٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٢١٩-٢٢٠؛ ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ج٢، ص٦٠٥.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٧٧؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٥، ص٥٤٩؛ القزويني: تاريخ گزيده، ص٢٤؛ لقد تأثر العديد من رجال الدولة الإيلخانية بموقف أولجايتو، فارتفعت مكانة الوزير الثاني سعد الدين الساوجي على الوزير الأول رشيد الدين، وظهر الشيخ جمال الدين مطهر الحلي وارتفع شأنه في الدولة، وهو إمام الشيعة، العارف بالأصول والنحو والفقه، وله مصنفات في المذهب الإثني عشري بلغت المائة وعشرين مصنفاً، ورتب له الإيلخان العطايا والهبات من خزانة الدولة (ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٢٠٠؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٢، ص١٦٢).
(٥) عباس إقبال: تاريخ إيران، ص٤٨؛ تاريخ المغول، ص٢١٦.
(٦) فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي، ص٣٨٣.
(٧) عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣١١.
(٨) السمرقندي: مطلع السعدين، ص٢٣٥-٢٣٦.
(٩) خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٧٨.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

اهتمام الدولة ورجالها بأمر طبقة المتصوفين، والإنفاق عليهم ببذخ كبير.

د - أهل الذمة: ازداد نفوذ وسيطرة المسيحيين من «النساطرة» في عهد الدولة الإيلخانية، خاصةً في عهد «أباقا خان»، الذي رفع من قدر هذه الطائفة، متأثرًا في ذلك بأمه المسيحية الديانة السيدة «دوقوز خاتون»[١]، وعقد مع الغرب الأوروبي المعاهدات لضرب المماليك في مصر والشَّام، إلا أنه في حقيقة الأمر قد أعفى رجال الدين من الضرائب فيما عدا رجال الدين اليهود، وجدد كنائس «اليعاقبة» و«النساطرة» وأمّن لهم حرية التبشير بدينهم ونشاطهم الدعوي في عهده[٢].

وبعد بناء مدينة السلطانية، لعب النصارى دورًا بارزًا في عهد «أبي سعيد»، حتى أقنعوه بإنشاء كنيسة في عاصمته، التي قام البابا في سنة ٧١٨هـ/ ١٣١٨م بافتتاحها، بمقتضى مرسوم إيلخاني، وأوفد أحد القساوسة ويُدعى «فرانسوا دوبيروز» لتولي أسقفية الرعايا المسيحيين فيها، وظل هذا القس في منصبه حتى سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م، ثم خلفه قس آخر، ولكن قلّ نفوذ النصاري في الإيلخانية بعد ذلك، ولم يعد لهم نفس المكانة السابقة[٣].

وقد ألزم «أبو سعيد» أهل الذمة من يهود ونصارى بلبس الغيار وشد الزنار في أوساطهم، ووضع خرقة صفراء اللون على عمائم اليهود، ليتميزوا في ملبسهم عن باقي الطوائف في السلطانية، مع العلم فإن مكانة اليهود في الإيلخانية قد وصلت إلى أعلى مكانة في عهد «أرغون خان» الذي استعان بأحد اليهود في وزارته وهو طبيب القصر «سعد الدولة»[٤]، الذي ما لبث أن أسند إلى بني جنسه المناصب الرئيسية في الدولة، ورفعهم على المسلمين الذين أبغضوا معاملته[٥]، ولعدم اندماج اليهود في المجتمع، فقد ثارت الرعية على هذا الوزير وقتلته ونهبت دور اليهود ودكاكينهم[٦]، ولقد أشار اليوسفي[٧] إلى دخول عدد من اليهود في الدين الإسلامي، منهم حاخام اليهود في بَغْدَاد، وذلك في أواخر عهد «أبي سعيد» في سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م.

٣- وسائل التسلية في السلطانية:

تعد مجالس الطرب والغناء من وسائل الترفيه والتسلية التي مارسها الإيلخانيون في مجالسهم الخاصة، ولأهمية مجالس الغناء والشراب فقد أفرد الوزير نظام الملك الطُوْسي[٨] لها فصلاً في كتابه مشيرًا إلى أنه ليس للسلطان أفضل من الإكثار من عقد المجالس، وأن لهذه المجالس نظامًا ونسقًا معينًا.. ولا مفر من حضور الندماء في تلك المجالس، لذا كان «أبو سعيد» يحضر هذه المجالس ومعه نديمه المسمى «الخواجة عبد اللطيف»[٩]، كما أولى السلاطين اهتمامًا بارزًا بالندماء الذين على علم بضرب الوتر ومعرفة الغناء، فكان على النديم أن يدبر كل ما يلزم للشراب واللهو والنزهة ورحلات الصيد والصولجان[١٠].

---

(١) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٨٥.

(٢) برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص٦٦.

(٣) القزويني: تاريخ گزيده، ص ١٨٤؛ رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول، ص٢٢٥؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٤٣.

(٤) سعد الدولة بن صفي الدين الأبهري اليهودي، أسند إلى أخيه فخر الدولة حكم بَغْدَاد، وإلى أخيه الآخر حكم دِيَار بكْر في عهد أرغون خان (خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٦١).

(٥) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٣٣٣.

(٦) البناكتي: تاريخ البناكتي، ص٤٧١؛ القزويني: تاريخ گزيده، ص١٧٥؛ ميرخواند: روضة الصفا، ج٥، ص٣٦١؛ عباس العزاوي: تاريخ العِرَاق بين احتلالين، ج١، ص٢٤٧؛

Howorth: History of the Mongols, Vol. III, P.350.

(٧) نزهة الناظر، ص٢٨٢- ٢٨٣.

(٨) سياست نامه، ترجمة وتعليق: السيد محمد العزاوي، دار الرائد العربي، القاهرة، ١٩٧٥م، ص١٥٦- ١٥٨.

(٩) فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤١٣؛ مؤرخ المغول الكبير، ص١٧٤.

(١٠) نظام الملك الطُوْسي: سياست نامه، ص١٢٣.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبد الرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

وقد اتخذ «أبو سعيد» لمجالسه ساقيًا خاصًا به، هو «عز الدين إبراهيم» ابن الوزير «رشيد الدين» الذي امتاز بجمال الوجه والصوت[١]، وقد تحدث ابن بطوطة[٢] عن مجالس الطرب في عهده وتنزهه واستمتاعه بالطرب والغناء في نهر دِجْلَة في سفينة خفيفة تُسمَّى «الشيارة»، وبين يديه الأمراء، وتحيط به «شيارتان» أخرتان بهما أهل الطرب والغناء، فقد كان «أبو سعيد» شغوفًا بالغناء واللهو والطرب في مجالسه، وكان له موهبة فذة في العزف على العود، ومصنفات عديدة في فن الموسيقى.

هذا إلى جانب الإكثار من رحلات الصيد، في أوقات معلومة في العام، وهو فصل الربيع، وللصيد حيواناته المعروفة منها الفهد والسبع والكلاب[٣]، وعلى الرجال المصاحبين لموكب الصيد الإعداد لحشر الصيد، وإرسال جماعة خارج الناحية التي يزمع الصيد بها لهذا الغرض[٤].

لقد جرت العادة على خروج الإيلخانيين في فصل الربيع للصيد، فكان «غازان» يتصيد في قوسان وأعمال الحلة[٥]، وقد أولع «أولجايتو» برحلات الصيد في نواحي السلطانية، وقد توفي في آخر رحلاته للصيد، ونُقل جثمانه إلى السلطانية، وكثيرًا ما ذهب «أبو سعيد» إلى رحلات الصيد في «أوجان» بالسلطانية، هذا وقد جرت العادة على خروج كبار رجال الدولة لهذه الرحلات، مثل الأمير «جوبان» في عهد «أبي سعيد»، الذي كان يتصيد في نواحي أَذْرَبِيْجَان، والأمير «أيسن قتلغ» الذي كان يخرج للصيد في منطقة آران، وقد توفي في آخر رحلاته ونقل جثمانه إلَى السلطانية[٦].

كما جرت العادة على اتخاذ الإيلخانيين مكانًا لمشتاهم وآخر لمصيفهم يقضون فيه هذين الفصلين بعيدًا عن العاصمة السلطانية، فكان «أولجايتو» يقضي شتاءه في بَغْدَاد أو في مدينة موغان على حدود أَذْرَبِيْجَان، ويعود للسلطانية في بداية الربيع[٧]، بينما كان «أبو سعيد» يقضي صيفه في أوجان وشتاءه في بَغْدَاد[٨]، وقد خرج الوزير «علي شاه» في نهاية أيامه سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م إلى أوجان لقضاء فصل الصيف هناك، فتوفي ونُقل جثمانه إلى العاصمة، ودفن في مسجده المعد لذلك[٩].

ومن المظاهر الاجتماعية التي مارسها الأيلخانيون عدة عادات وتقاليد موروثة من أيام المغول الأولى، فقد مارسوا عدة عادات منها أنه عند وفاة الخان تُغلق الطرق وتصدر الأوامر بألا ينتقل أي مخلوق من مكان إلى آخر[١٠].

كما جرت العادة بإعطاء أطفالهم الرضع إلى مربيات لإرضاعهم والاهتمام بشؤونهم، وقد اشترطوا على تلك المربيات ألا يسمحن لبعولتهن بأن يقربوهن[١١]، كما يحدد للطفل الرضيع أتابك لتربيته وتعليمه فنون القتال والعلوم المختلفة، وعند بلوغ الطفل سن الخامسة من العمر تقام له احتفالية كبيرة، مثلما حدث لـ«أبي

(١) السمرقندي: مطلع السعدين، ص١٩٣؛ فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤١٣.
(٢) رحلة ابن بطوطة، ص٢٤١.
(٣) القزويني: تاريخ گزيده، ص٢٨.
(٤) قابوس الثاني: كتاب النصيحة المعروف بقابوسنامه، ترجمة محمد صادق نشأت، وأمين عبد المجيد بدوي، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص١١٣.
(٥) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص٣٣٣؛ عباس إقبال: تاريخ المغول، ص٣٢٢- ٣٢٣؛ لقد مارس غازان الصيد وعمره ثماني سنوات، ومكث ثلاثة أيام في دامغان من أجل تلطيخ يده بالشحم على أساس أنه صيده الأول، وأقام هناك الولائم وحفلات اللهو (الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص٨٢).
(٦) البناكتي: تاريخ البناكتي، ص٥٠٢؛ القزويني: تاريخ گزيده، ص٢٩، ١٩٠-١٩١.
(٧) البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٢١؛ فؤاد عبد المعطي الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص٤٥٢.
(٨) السمرقندي: مطلع السعدين، ص١٨٤، ٢٢٤.
(٩) البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٢٧.
(١٠) الهمذاني: جامع التواريخ، مج٢، ج٢، ص٩.
(١١) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص٧٩.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

سعيد» الذي اجتمعت كل الخواتين والأبناء والأمراء والأمير «سونج» الأتابك وأركبوه حصانًا ووجهوا هذا الحصان إلى ناحية الشرق، وسكبوا قدحًا من اللبن المخثر على وجهه وظهره[١].

وقد جرت في مراسم العزاء نزع الريش من قلانس الحاضرين، احترامًا وإجلالًا للمتوفى، هذا إلى جانب وضع تاج الإيلخان المتوفى وحزامه وملابسه وأسلحته فوق كرسي العرش، ولبس ملابس الحداد، والأخذ في البكاء والنواح على المتوفى[٢].

٤- المرأة الإيلخانية في العاصمة السلطانية:

لعبت المرأة الإيلخانية دورًا بارزًا في الحياة السياسية، ووصلت سيدات القصور إلى مكانة رفيعة، فكان الإيلخان يكتب في مراسيمه وفرماناته: (عن أمر السلطان والخواتين)[٣]، وكن يحضرن القوريلتاي -مجلس الشورى- الذي لا يتم إلا بحضور الخاتون الكبرى المفضلة لدى الحاكم، لذا كان من حق النساء في القصر اختيار الحاكم الجديد، والأخذ برأيهن فيمن يتولى العرش[٤]، وكانت الخاتون الكبرى يُدق لها الطبول على بابها عقب طبل الخان، وإذا صحبهن الإيلخان في معسكره تنزل كل خاتون من خواتينه في محلها على حدة، ولكل واحدة منهن الإمام والمؤذن والقراء ليعلمها أصول الدين الإسلامي[٥].

اعتاد المغول الزواج بأكثر من سيدة، لرغبتهم في التمتع بالنساء سواء كن زوجات أو محظيات، فقد تزوج «أبو سعيد» وهو صغير السن من السيدة «أولجاي قتلغ خاتون» ابنة «غازان»، وذلك أثناء بداية إرساله إلى ولاية خُرَاسَان، وعقد له «أولجايتو» عليها بعقد شرعي على الطريقة الإسلامية، وقد بلغت زوجاته خمس سيدات غير المحظيات[٦].

ثم مال «أبو سعيد» إلى عشق السيدة «بغداد خاتون» ابنة الأمير «جوبان»، وكانت متزوجة من الأمير «حسن الجلائري» في سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م، فطلب أن يطلقها من زوجها، وذلك طبقًا لأحكام «الياسا الجنكيزية»، التي تنص على أن أي امرأة يقع نظر الإيلخان عليها ويعجب بها تقدم إليه عن طيب خاطر[٧]، وبالتالي تم تزوجه منها، وقد حظيت بمكانة ومنزلة عالية في قصره، ووثقت علاقتها بالوزير «غياث الدين محمد»، الذي عمل على تلبية جميع أوامرها وتوجيهاتها[٨]، وساندها في تلبية طلبها لإقناع «أبي سعيد» بدفن أبيها وأخيها «جلوخان» في مقبرته بالأراضي الحجازية[٩]، وبناءً على الإشاعات التي دارت حول مراسلات «بغداد خاتون» لمطلقها، فقد تزوج عليها الإيلخان من السيدة «دولشاد خاتون» ابنة الأمير «دمشق خواجة»، فوضعت «بغداد خاتون» السمَّ له في الطعام فمات، وبالتالي قام الأمير «لؤلؤ» بقتلها في الحمام بحربته، وتُركت عدة أيام في موضعها[١٠].

لقد تدخلت السيدات في التجسس على أمراء الدولة، وإبلاغ الإيلخان بما يشين أفعالهم، فقد قامت

---

(١) السمرقندي: مطلع السعدين، ص١٨٢.
(٢) الهمذاني: تاريخ غازان خان، ص١٠١؛ السمرقندي: مطلع السعدين، ص١٨٨.
(٣) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٢٤٣.
(٤) فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي، ص١٢٢.
(٥) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٢٤٦.
(٦) البناكتي: تاريخ البناكتي، ص٥٠٣؛ السمرقندي: مطلع السعدين، ص١٨٣.
(٧) ميرخواند: روضة الصفا، ج٥، ص٥٧؛ خواندمير: حبيب السير، ج١، جلد سوم، ص٢٠٩؛ حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ رشيدي، ص١٦٣.
(8) Howorth: History of the Mongols, Vol. III, P. 611.
(٩) السمرقندي: مطلع السعدين، ص٢٤١.
(١٠) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٢٤٣؛ حافظ أبرو: ذيل جامع التواريخ رشيدي، ص١٩١؛ برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص٧٩.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبد الرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

السيدة «دنيا خاتون» ابنة «المنصور نجم الدين» صاحب ماردين، وزوجة «أولجايتو»[١]، بالتجسس على نساء الحرم الملكي، وأخبرت «أبا سعيد» بأمر الأمير «دمشق خواجة» وعلاقته بالسيدة «طغي خاتون»، وعندما تحقق من حقيقة ما قالت، أمر بقتل الأمير «دمشق خواجة»، حيث لحق به الأمير «مصر خواجة» وغلام يعرف بـ«لؤلؤ»، فقتلاه وحملا رأسه إلى الإيلخان، فعلقها على بوابة القصر في سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م[٢].

ومن الطبيعي أن تشارك المرأة الإيلخانية في الحرب وتقاتل في ساحات المعارك، حيث يصطحب الخان زوجاته ومحظياته في ميدان القتال، وذلك لرغبته في المحافظة عليهن من الاعتداءات، ولكي يشددن من أزره في ساحة الوغى، ففي أثناء الصراع بين «أولجايتو» والمماليك في الرحبة، ناشد الإيلخان السيدة «نجمة خاتون» الرحيل وترك ميدان المعركة، لسوء الأحوال الجوية ولطول فترة الحصار دون الاشتباك الفعلي مع الجيش المملوكي[٣].

ثالثًا: اهتمام الإيلخانيين بالثقافة:

ارتبطت الحياة الثقافية في الدولة الإيلخانية باعتناقهم للدين الإسلامي، فأقبلوا على بناء المدارس والمساجد، ورتبوا للقائمين عليها النفقات والأرزاق، وطبقوا تعاليم الشريعة الإسلامية في القضاء، بتعيين قاضي القضاة الشافعي الشيخ «نظام الدين عبد الملك المراغي» لمباشرة النظر في الخصومات، فصارت بذلك أحكام الشريعة مطبقة في الإيلخانية[٤].

فلم يكتفِ «أولجايتو» بتوجيه اهتمامه إلى العلوم الدينية مثل علم الحديث الذي برع فيه «الحافظ عبد الرزاق الفوطي» المتوفى سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م[٥]، وشجع «رشيد الدين» على القيام بعمل تفسير لآيات القرآن الكريم، وأعد لذلك عدة رسائل جمعها في مصنف واحد سماه «التوضيحات»[٦]، بل أولى اهتمامه إلى علم التاريخ وشجع المؤرخين في بلاطه على التأريخ، حتى إنهم تنافسوا فيما بينهم على تأليف الموسوعات التاريخية، فكان عصره يُعد نهضة جديدة لعلم التاريخ[٧].

ونتيجةً لهذا الاهتمام من قِبَلِ الإيلخانيين بتدوين التاريخ، ظهر العديد من المؤرخين في السلطانية، وعلى رأسهم «رشيد الدين فضل الله الهمذاني»، الذي كان معروفًا في مجال العلم والتاريخ فضلًا عن كونه طبيبًا، فعمل على تسجيل تاريخ المغول في شكل موسوعات كبيرة، وصنّف منظومته الموسوعية في ظل رعاية «غازان» و«أولجايتو»[٨]، مما يؤكد اهتمامهم بتاريخ أجدادهم ورغبتهم في إعلاء شأن الأسرة المغولية[٩]، كما خصص لـ«غازان» تاريخًا خاصًا به هو «تاريخ غازان»[١٠]، وقد أجزل «أولجايتو» العطايا والهبات لمؤرخنا هذا، وعمل على نشر مؤلفاته على نفقة الدولة، وقد بلغت عشر مجلدات تشتمل على ثلاثة آلاف ورقة، كما أمر أن

(١) العيني: عقد الجمان، ج٥، ص١٥٧؛ ابن سباط: تاريخ ابن سباط، ص٦٠٤؛ عباس العزاوي: تاريخ العِرَاق بين احتلالين، ج١، ص٤١٥.
(٢) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٤، ص١١٣؛ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص٢٤١؛ السمرقندي: مطلع السعدين، ص٢٢٨- ٢٢٩.
(٣) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج١، ص٤٥.
(٤) البدليسي: شرفنامه، ج٢، ص٢١.
(٥) خواندمير: رجال حبيب السير، ص٢٠٦.
(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٧؛ عباس العزاوي: تاريخ العِرَاق بين احتلالين، ج١، ص٤٥٣.
(٧) القزويني: تاريخ گزيده، ص٢٨.
(٨) برتولد شبولر: العالم الإسلامي في العصر المغولي، ص٧٧؛
Howorth: History of the Mongols, Vol. III, P. 427.
(٩) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٥، ص٥٤٩؛ ميرخواند: روضة الصفا، ج٥، ص٤٧٨.
(١٠) ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٢، ص٩٧؛ رجب محمد عبد الحليم: انتشار الإسلام بين المغول، ص٢١٦.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

توضع مؤلفاته في مسجد السلطانية ليسهل على طلاب العلم الاطلاع عليها[١].

ومن مؤرخي تلك الفترة «شمس الدين كاشي» مؤلف «تاريخ غازان»، وله قصيدة في مدح «خواجة بهاء الدين محمد بن رشيد الدين» المتوفى في عهد «أبي سعيد»[٢]، ومن مؤرخي «أبي سعيد» المؤرخ «حمد الله المستوفي» الذي انضم إلى زمرة كتاب الوزير «رشيد الدين» وابنه «غياث الدين محمد»، وألّف موسوعتيه التاريخيتين «تاريخ گزيده» و«نزهة القلوب»[٣].

هذا إلى جانب المؤرخ «شهاب الدين عبد الله الشِيرَازي» صاحب كتاب «تجزية الأمصار وتزجية الأعصار» المعروف بكتاب «تاريخ وصاف»، وهو من خمسة مجلدات، يحتوي على تاريخ المغول منذ عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م إلى عام ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م، وهذا الكتاب بمثابة ذيل لكتاب «الجويني» «تاريخ جهانگشاى»[٤].

لقد تبارى «أبو سعيد» مع وزيره «غياث الدين محمد» في تشجيع العلماء والأدباء والشعراء ورعايتهم والعمل على نهضة ورقي القصائد الشعرية، فلقد كان السلطان نفسه شاعرًا يجيد نظمه وله أشعار لطيفة، كما حاباه الله بخط جميل، فقد أسند «أولجايتو» إلى السيد «شرف الدين الخطاط الشِيرَازي» أشهر خطاطي العصر بأن يعلم «أبا سعيد» فنون الخط وتجويده[٥].

كذلك برز عدد كبير من أطباء القصر الإيلخاني، معظمهم من المسلمين في عهد «أولجايتو» و«أبي سعيد» على خلاف ما قام به «أرغون» من الاعتماد على طبيب يهودي في قصره هو «سعد الدولة الأبهري»[٦]، استعان «أولجايتو» بالطبيب «موفق الدين» و«جلال الدين بن الحران الموصلي»[٧]، ثم استعان بوزيره «رشيد الدين»، الذي عنى عناية فائقة بجلب العقاقير والأدوية اللازمة لدار الشفاء في السلطانية، والتي طلبها في مراسلاته إلى مدينة هَمَدَان، وهي الرسالة رقم اثنتين وأربعين من مكاتباته[٨]، كذلك الرسالة الثامنة عشرة التي كتبها إلى السيد «علاء الدين هندو» فيما يتصل بالأدوية بدار الشفاء بتِبْريز والتي اشتملت على عدة زيوت، مثل زيوت برعم البنفسج قيمته ١٠٠ مَنّ، وزيوت برعم الورد قيمته ٥٠ مَنّ، وزيت برعم الياسمين ٢٠ مَنّ، وزيوت كافور جودانه ١٠ مَنّ وغيرها من الزيوت[٩].

كذلك صدرت أوامر «رشيد الدين» إلى الكحالين بتعليم خمسة من طلاب العلم، حتى يتقنوا صنعة الكحالة وتطييب العيون، وذلك في مستشفى الربع الرشيدي[١٠]، ولا ننسى أن نشير في ختام حديثنا عن الطب إلى تحول عدد من الأطباء اليهود إلى اعتناق الدين الإسلامي في عهد «أولجايتو»[١١].

❋❋❋❋❋

(1) Howorth: History of the Mongols, Vol. III, P.561.

(٢) خواندمير: رجال حبيب السير، ص٢٠٠.

(٣) خواندمير: رجال حبيب السير، ص٢٠٦.

(٤) القزويني: تاريخ گزيده، ص٢٨؛ Sykes: A History of Persia, Vol. II, p.14

(٥) خواندمير: رجال حبيب السير، ص٢٠٢.

(٦) خواندمير: دستور الوزراء، ص٣٥٩.

(٧) فؤاد عبد المعطي الصياد: الشرق الإسلامي، ص٤٢٢.

(٨) الهمذاني: مكاتبات رشيدي، ترجمة ثريا محمد محمد علي ضمن رسالة ماجستير في الأدب الفارسي بكلية الآداب قسم اللغات الشرقية، إشراف سعاد عبد الهادي قنديل وأحمد حمدي السعيد الخولي، ١٩٨١م، ص١٩٩.

(٩) الهمذاني: مكاتبات رشيدي، ص٥٣.

(١٠) فؤاد عبد المعطي الصياد: مؤرخ المغول الكبير، ص٤٣٦.

(11) Saunders: The History of the Mongol Conquests, P.P. 143- 144.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبد الرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

أهم النتائج المستخلصة من البحث:

١- السلطانية عاصمة الأيلخانيين في عهدي «أولجايتو» و«أبي سعيد بهادر خان» وهي من أهم عواصمهم.

٢- شيد «أولجايتو» مدينة السلطانية شمال غرب أَذْرَبِيْجَان، وجلب إليها جميع عناصر وطبقات المجتمع.

٣- خرجت عدة جيوش من السلطانية في عهد «أولجايتو»، وتمت معاهدات في عهد «أبي سعيد» مع مماليك مصر.

٤- يعد الإيلخان على رأس الجهاز الإداري في السلطانية.

٥- نظام الوزارة في السلطانية يعتمد على تعيين وزيرين في الوقت نفسه وليس وزيرًا واحدًا.

٦- من أهم ولايات الأقاليم في عهد الإيلخان ولاية خُرَاسَان التي يعين فيها أحد أفراد الأسرة الإيلخانية.

٧- تعددت الطوائف الدينية في السلطانية، من سنة وشيعة ومتصوفة وأهل الذمة.

٨- تمتع الإيلخانيون خاصة «أبو سعيد» بمجالس الطرب والشراب والغناء ورحلات الصيد.

٩- تولت المرأة الإيلخانية شؤون الحكم طبقًا للياسا، ولها دور في اختيار الإيلخان الجديد.

١٠- ضمت السلطانية العديد من مؤرخي التاريخ والمحدثين والأطباء في عهدي «أولجايتو» و«أبو سعيد.

*****

قائمة المصادر والمراجع الخاصة بالمبحث الرابع

أولًا:- المصادر العربية:

١- ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشيباني (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م): «الكامل في التاريخ»، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج١٢.

٢- ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله المنصوري (ت ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م): «كنز الدرر وجامع الغرر: المعروف بالدرر الفاخر في سيرة الملك الناصر»، تحقيق: هانس روبرت رويمر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة- مصر، ١٩٦٠م، ج٩.

٣- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م): «رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤- ابن حبيب، بدر الدين الحسن بن عمر (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م): «تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه»، تحقيق: محمد محمد أمين، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، ١٩٧٦م، ج١، ١٩٧٦م، ج٢، ١٩٨٢م.

٥- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م): «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر»، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ج٥.

٦- ابن سباط، حمزة بن أحمد بن عمر (ت ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م): «صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

سباط»، عني بتحقيقه عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، طرابلس- لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج٢.

٧- ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م): «تاريخ مختصر الدول»، وضع حواشيه وصححه: أنطون صالحاني اليسوعي، الطبعة الثانية، المطبعة الكاثوليكية، بيروت- لبنان، ١٩٥٨م.

٨- العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م): «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان-عصر سلاطين المماليك»، حققه محمد محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج١، ج٣، ج٤، ج٥.

٩- أبو الفداء الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م): «المختصر في أخبار البشر»، تقديم حسين مؤنس، تحقيق: محمد زينهم محمد عزت، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م، ج٣، ج٤.

١٠- ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م): «الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة»، تحقيق مهدي المنجم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١١- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م): «آثار البلاد وأخبار العباد»، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

١٢- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م): «البداية والنهاية»، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان،١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ج١٣، ج١٤.

١٣- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرُّوْمي البَغْدَادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): «معجم البلدان»، ٥ أجزاء، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٤- اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى (ت ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م): «نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر»، تحقيق أحمد حطيط، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ثانيًا:- المصادر الفارسية:

١٥- البدليسي، شرف خان بن شمس الدين (ت ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م): «شرفنامه»، ترجمة محمد علي عوني، راجعه يحيى الخشاب، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٢م، ج٢.

١٦- البناكتي، أبو سليمان داود بن أبي الفضل محمد (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م): «روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب المشهور بتاريخ البناكتي»، ترجمة وتقديم محمود عبد الكريم علي، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٧- الجوزجاني، أبو عمر منهاج الدين عثمان السراج (ت ٦٠٦هـ/ ٦٦١٢م): «طبقات ناصري»، ترجمة ودراسة: ملكة علي التركي، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ج٢.

١٨- الجويني، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد (ت ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م): «تاريخ فاتح العالم المعروف بـ تاريخ جهانگشاى»، ترجمة: محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١، ج٢.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبد الرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

١٩- حافظ أبرو، شهاب الدين عبد الله بن لطف الله (ت ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م): «ذيل جامع التواريخ رشيدي»، جاب دوم، مقدمة وحواش وتعليقات خانبابا بياني، شركة تضامني علمي، تهران، سنة ١٣١٧هـ. ش.

٢٠- خواندمير، غياث الدين بن همام الدين (ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م): «حبيب السير في أخبار أفراد البشر»، جزء أول جلد سوم، انتشارات كتابخانه خيام، سنة١٣٣٣هـ. ش.

٢١- _____: «دستور الوزراء»، ترجمة وتعليق حربي أمين سليمان، تقديم فؤاد عبد المعطي الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م.

٢٢- _____: «كتاب رجال حبيب السير»، جمع عبد الحسين نوائي، دراسة وترجمة هالة حسن محمد بسيوني، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم لغات الأمم الإسلامية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، تحت إشراف محمد السعيد جمال الدين ويسري فؤاد مرسي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢٣- رشيد الدين الهمذاني، فضل الله بن يحيى (ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م): «تاريخ غازان خان»، ترجمة وتقديم وتعليق: فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٢٤- _____: «جامع التواريخ، الإيلخانيون، تاريخ أبناء هولاكو أباقا خان إلى كيخاتو خان»، نقله إلى العربية محمد صادق نشأت وفؤاد عبد المعطي الصياد، راجعة يحيى الخشاب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٦٠م، مج٢، ج٢.

٢٥- _____: «مكاتبات رشيدي»، ترجمة ثريا محمد محمد علي ضمن رسالة ماجستير في الأدب الفارسي بكلية الآداب قسم اللغات الشرقية، إشراف سعاد عبد الهادي قنديل وأحمد حمدي السعيد الخولي، ١٩٨١م.

٢٦- السمرقندي، كمال الدين عبد الرزاق بن جلال الدين إسحاق (ت ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م): «مطلع السعدين ومجمع البحرين»، ترجمة أحمد رياض عز العرب، ضمن رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم اللغات الشرقية، جامعة جنوب الوادي، سوهاج، إشراف شعبان طرطور، ١٣١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢٧- قابوس الثاني، عنصر المعالي كيكاوس بن إسكندر (ت ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م): «كتاب النصيحة المعروف بقابوسنامه»، ترجمة محمد صادق نشأت وأمين عبد المجيد بدوي، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

٢٨- القاشاني، أبو القاسم عبد الله بن محمد (ت مجهول): «تاريخ أولجاتيو المعروف بتاريخ بادشاه سعيد غياث الدنيا والدين أولجايتو»، مجموعة متون فارسي زير نظر احسان يار شاطر شمارة، به اهتمام مهين همبلي، تهران، ١٣٤٨هـ.ش.

٢٩- القزويني، حمد الله بن أبو بكر مستوفي (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م): «تاريخ گزيده، دراسة تاريخية وتحليلية نقدية مع ترجمة الفصول ٩، ١٠، ١١، ١٢، من الباب الرابع والباب الملحق»، ترجمة فتحية حلمي أمين الدالي، ضمن رسالة ماجستير بجامعة الأزهر، كلية الدراسات الإنسانية، قسم اللغة الفارسية، إشراف عفاف السيد زيدان، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٣٠- ميرخواند، محمد بن خاوند شاه (ت ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م): «روضة الصفا»، طبعة طهران، ١٣٣٩هـ. ش، ج٥.

٣١- نظام الملك الطُوسي، أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق (ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م): «سياست نامه»، ترجمة وتعليق: السيد محمد العزاوي، دار الرائد العربي، القاهرة، ١٩٧٥م.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبدالرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.

ثالثًا: المراجع العربية:

٣٢- رجب محمد عبد الحليم: «انتشار الإسلام بين المغول»، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت.

٣٣- عباس العزاوي: «تاريخ العِرَاق بين احتلالين- حكومة المغول، ٦٥٦- ٧٣٨هـ/ ١٢٥٨- ١٣٣٨م»، طبع في مطبعة بَغْدَاد، سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م، ج١.

٣٤- فؤاد عبد المعطي الصياد: «الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين- أسرة هولاكو خان»، منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، الدوحة- قطر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٥- _____: «مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني»، الطبعة الأولى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

رابعًا: المراجع الفارسية:

٣٦- عباس إقبال: «تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية»، ترجمة وتقديم وتعليق: محمد علاء الدين منصور، مراجعة: السباعي محمد السباعي، الطبعة الأولى، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٣٧- _____ : «تاريخ المغول منذ حملة چنگيز خان حتى قيام الدولة التيمورية»، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبوظبي- الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

خامسًا: المراجع المعربة:

٣٨- برتولد شبولر: «العالم الإسلامي في العصر المغولي»، ترجمة خالد أسعد عيسى، مراجعة سهيل زكار، الطبعة الأولى، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

سادسًا: المراجع الأجنبية :

39- D'Ohsson, Constantin Mouradgea: Histoire des Mongols, depuis Tchinguiz-Khan jusqu'à Timour Bey ou Tamerlan, **Tom. II - III**, La Haye et Amsterdam: Les Frères Van Cleef, 1834.

40- Howorth, Henry H. History of the Mongols: From the 9th to the 19th Century. Vol. III. London: Longmans, Green, and Co., 1888.

41- Nicol, Norman D., Raafat El-Nabarawy, and Jere L. Bacharach. Catalog of the Islamic Coins, Glass Weights, Dies, and Medals in the Egyptian National Library, Cairo. Malibu, Calif.: Undena Publications, 1982.

42- Saunders, J. J: The History of the Mongol Conquests. London: Routledge & Kegan Paul, 1971.

43- Sykes, Percy: A History of Persia, Vol. II, London: Macmillan & Co, 1958.

*****

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمؤسسة عبد الرحمن المشيقح للبحوث والدراسات والنشر.